صلاح عزام

من تلاميذ النبي

سعد بن معاذ
خباب بن الأرت
حمزة عم النبي
عمير بن سعد
خالد بن سعيد
بلال بن رباح
طلحة بن عبيد الله
خالد بن الوليد
عمار بن ياسر
صهيب بن سنان
عبد الله بن مسعود
عثمان بن مظعون



ثقافة وعلوم إنسانية لكل الشعب

تصدر عن مؤسسة

دار الشعب

للصحافة والطباعة والنشر

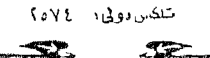
رئيس مجلس الإدارة
ومدير عام التحرير

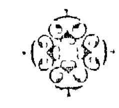
أحمد شوقى القيعى

رئيس التحرير

أنور زعلوك

الإدارة: ٩٢ شارع قصر العينى - القاهرة
ت: ٣٥٥١٨١٠٠/٣٥٥١٨١٨/٢٥٤٢٨٠/٣٥٥٠٥٩٩١٢
تلكس دولى: ٢٥٧٤





ستظل القاهرة .. دائما قلب العروبة والاسلام النابض.. تتبوأ مكانتها التاريخية والحضارية .. فى عالم الفكر والثقافة والنشر !!

سكرتارية التحرير:

ثروت الشعراوى

أنور عبد الدايم
محمد يوسف السيد

الإشراف الفنى :

م. محمد أبوليلة
محسن أحمد خليل





بقلم

صلاح عزام

الشعب
٩٢ شارع قصر العينى بالقاهرة
تليفون ٢١٨١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

(أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ)

حديث شريف

مقدمة

الذين كتبوا عن الشخصيات الاسلامية كانوا أحد فريقين ..

واحد منهم .. كان يؤرخ عن الشخصية من جميع جوانبها وباطالة تستوعب التأريخ عن كل ما يعترض مسارها من أحداث وأسماء .. وهو أمر لا يقدر عليه غير طائفة معينة من المفكرين والقراء .. ولكنه ليس من الشباب الباحث عن المعرفة والمتعطش لها ، والمولع بالأسلوب الحديث البسيط .. المختصر ..

والفريق الثانى .. يختار بعض جوانب من حياة الشخصية الاسلامية بالذات .. ويطلق عليها مسميات مختلفة كالعبقرية أو العظمة ، أو الرجولة .. الخ .. وهذا الأسلوب أيضا لا أجد فيه ما يشبع نهم القارىء .. اذ أن ما يراه انسان أقل عظمة قد يراه غيره قمتها ..

ومن أجل ذلك ..

كان علينا أن نختار طريقا محددا التزمناه فى كل كتاباتنا ــ بفضل الله ــ وهو أن نؤرخ للشخصية الاسلامية فى اختصار من غير اجحاف ومن غير أن نترك فى حياة من نكتب عنه منذ ولادته الى موته شيئا ، وفى احاطة كاملة .. ايمانا منا أن من اعجاز الاسلام فى قلوب المسلمين تعطشهم الدائم الى مزيد من المعرفة ، ومزيد من

العلم المحمدى .. وأن كثيرا من شباب المسلمين .. وعددا كبيرا من القراء يعيشون الآن فى دوامة السرعة .. ولذا لا بد لهم من وقفة عند الاختيار ..

والمسلمون اليوم .. هم أكثر من أى وقت آخر احتياجا لمعرفة أعلام دينهم .. وأول هؤلاء .. أتباع النبى الأول .. تلاميذ المدرسة المحمدية .. وأصحابه عليهم رضوان الله .. والذين قال عنهم عليه الصلاة والسلام (أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهديتم) .

وقد تعمدت أن أختار شخصيات ذات أوضاع اجتماعية مختلفة .. قبل دخولهم فى الاسلام ليعرف الجيل الحاضر كيف استطاع الدين الاسلامى أن يحولهم جميعا الى نسيج وحده .. ونموذج رائع من الرجولة لا نظير له فى غير دنيا الاسلام ..

و .. فى هذا الكتاب .. احدى عشر نموذجا من تلاميذ النبى .. تضمنهم الجزء الثانى من شخصيات اسلامية .. والتى بدأناها منذ سنوات ..

و .. ربنا عليك توكلنا ..

واليك المصير ..

صلاح عزام

مصر الجديدة / رجب ١٣٩٠

سبتمبر ١٩٧٠

المجاهد الصادق
سعد بن معاذ

كان سعد بن معاذ فى اسلامه مدرسة كاملة يتعلم منهـا كل أصحاب العقائد كيف تكون الرجولة ، وكيف يكون الايمان وكيف ترسم البطولة المجاهدة الصادقة بصماتها على صفحات الوجود وتاريخ الدنيا .

وحتى فى دخوله الاسلام كان أسطورة يتحدث عنها كل سكان المدينة ومن يتصلون بهم .. فقد جاء مع مسلمى بيعة العقبة مصعب ابن عمير واحد من أصـحاب النبى صلى الله عليه وسـلم ليعلم المسلمين من أهل المدينة أمور دينهم وليكون داعية اسلام لسكان المدينة .. ومع الأيام أصبح حديث مجلس مصعب فوق كل أخبار المجتمع المدنى وثار الكثير من سكان المدينة على وجوده بينهم ، وأشعل نيران غضبهم أحلافهم من اليهود وأجمعوا على ضرورة ابعاد مصعب ان لم يسهل قتله لأن الناس ينجذبون له ولحديثه ويسارعون فى الدخول الى الاسلام الأمر الذى يهدد مجتمعهم .

وتطلعت الأنظـار تبحث عن المنقذ من هـذا الموقف المتأزم وتجمعت كلها حول سعد بن معاذ ابن الواحد والثلاثين عاما وسيد قومه . الذى انطلق الى دار ابن خالته سعد بن زراره حيث مصعب ابن عمير معلما ورسولا للنبى .. وتحدث مشادة عنيفة بين سعد وسعد يفصل فيها مصعب باقتراح يعرضه على ابن معاذ بأن يستمع اليه فيما جاء به ويتعاهدا اذا لم يكن فيما يقوله مصعب ما يرضى

العقل والقلب فعليه الرحيل بلا ابطاء .. وبشرط أن يفتح سعد قلبه وعقله ويحكم رجولته فيما يقال ..

وجلس سعد ..
واستمع الى كلام الله ..
وانتصرت رجولته ..

واذا بقلبه كما يصف بعد ذلك يخف ويرف حتى ليحس بهيبة وجلال وخشوع ولا ينتهى حديث مصعب الا ويد سعد تمتد اليه يشهده بدخوله الاسلام .

ويعود سيد الأوس الى قومه وقد تجمعوا انتظارا لعودته .. فاذا بهم يرونه بوجه غير الذى تركهم .. ويقبل عليهم متفحصا وجوههم جميعا ثم يلقى عليهم سؤالا :

ما تعدوننى فيكم ..
فأجابوا جميعا :
سيدنا وابن سيدنا .

فقال سعد :

« انى استمعت الى كلام مصعب فوجدته خيرا كله وصلاحا لأمرنا فأسلمت لله رب العالمين وشهدت بنبوة محمد بن عبد الله . و ... كل رجالكم ونسائكم على حرام حتى تسلموا .. »

وبعدها لم يبق بيت من بيوت بنى عبد الأشهل الا آجابه ودخل فى الاسلام ..

وبدأ سعد نفسه ينشر الاسلام ويساعد مصعب بن عمير . ولم ينتظر ما قيل له من أن النبى سيأتى اليهم ذات يوم حين يأذن الله .. بل سارع فى الذهاب الى مكة يبايع النبى ويتعلم منه ويستمع اليه . وبارك الرسول اسلامه .. ودعا له .

وعاد سعد بن معاذ الى المدينة منتظرا مقـدم النبى .. وجاء الرسول مهاجرا ..

ووضع سعد وقومه أرواحهم وكل ما يملكون تحت تصرف النبى ومن هاجر معه من المسلمين .. من غير حدود .. ولا قيود .. وفى حب واخلاص وايمان .

وأصبح سعد بن معاذ واحدا من الملازمين للنبى .. وأشدهم اخلاصا .. وأسرعهم لتنفيذ أوامره ..

حتى جاءت غزوة بدر ..

وظهرت اصالة سعد واضحة مشرقة : فقد جمع النبى المسلمين كلهم من حوله وتوجه الى الأنصار وسألهم :

أشيروا على أيها الناس .

فيسرع سعد بن معاذ واقفا فى رجولة قائلا :

والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ..

فقال النبى عليه السلام : أجل .

فأجاب سعد : يا رسول الله . لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا

أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا . فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك .. ووالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا .. انا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء . ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله .

ونشب القتال ..

وكان سعد الى جوار النبى يذود عنه ، ويفديه بعمره .. وعينه لا تغيب عنه .. حتى نصر الله المسلمين ..

وجاءت بعد ذلك المواقع تترى .. ولسعد فيها دور رائع .. ففى أحد ويوم كان كثير من السابقين الأولين يسير فى موكب التراجع .. لم تتزحزح قدما سعد من جوار النبى .. كان يربط مصيره بمصيره . . وكان يرفض أن يتحرك الا اذا عاد النبى الى دار هجرته سليما أو يموت دون ذلك .

و .. جاءت غزوة الخندق .

وكان حصار المشركين عنيفا وقاسيا . حتى أشفق النبى على المسلمين والأنصار منهم بنوع خاص .. وفكر فى أن يعطى نوعا من الأمان للأوس والخزرج بالتفاوض مع قائدى غطفان فى أن يرجعا بمن معهما ولهما ثلث ثمار المدينة .. ولكن قبل الانتهاء الى رأى حاسم ونهائى .. استدعى النبى بعض صحابته وفيهم زعيما الأوس

والخزرج .. وحرص على أن يسمع رأيهما أولا وقبل كل الصحابة ، واذا بهما يسألان النبى سؤالا واحدا :

يا رسول الله أهذا رأى تختاره أم وحى أمرك الله به ..

فيقول الرسول : « بل أمر اختاره لكم . والله ما أصنع ذلك الا لأننى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وطالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم الى أمر ما » .

وهنا ينتفض سعد ايمانا ورجولة ويقول :

يا رسول الله . قد كنا نحن وهؤلاء على الشرك وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا من مدينتنا ثمرة الا قرى — ضيافة — أو بيعا . أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له ، وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا .

والله ما لنا بهذا من حاجة . ووالله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

ووافقهم النبى وألغى ما كان يهم به من اتجاه ..

وتأهب الجميع للحرب ..

وكان سعد بن معاذ فى الصفوف الأولى المراقبة والمتأهبة للجهاد .. والقتال .. ويمر على جموع المسلمين مشجعا وداعيا .

وفى احدى هذه الجولات . وكانت عيون المشركين على سعد

تريد أن تقتله .. لتزيح من طريقها قوة وحدها . ورجولة لم يشهد لها مثيل .. وتمكن منه المشركون خلسة ومن وراء الآكام فأطلقوا عليه سهما أصاب الوريد من ذراعه .. فسارع اليه كثير من المسلمين يسعفونه ويحملونه الى المسجد حتى يكون قرب رسول الله يراه ويطمئن عليه ويشرف على تمريضه .

وفى المسجد .. يرفع سعد عينه الى السماء بدعاء صادق . « اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقنى لهـا . فانه لا قوم أحب الى أن أجاهدهم من قوم أذوا رسولك . وكذبوه . وأخرجوه . وان كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعل ما أصابنى اليوم طريقا للشهادة .. ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة » .

واستجاب الله دعاء سعد ..

فقد أبقاه .. ولكن شهرا واحدا ... حتى يرى نصر الله بعد أن رحلت الأحزاب فرارا .. وحتى يحكم فى بنى قريظة الذين أمر الله نبيه بحصارهم وقتالهم بعد أن فك الحصار عن المدينة وهزم الله الأحزاب .. وأراد زعماء اليهود من بنى قريظة أن يفرقوا بين صفوف المسلمين فأرسلوا الى الأوس يذكرونهم بما كان بينهم من مواثيق وعهود ويبكون على غدرهم ومحالفتهم الأحزاب ويناشدون اصالة الأوس أن تقف الى جانبهم .. ولكن ما كان هذا ليكون فان الأوس باسلامهم أصبحوا قوة مؤمنة .. ترى بنور الله ولا يخدعها مكر اليهود .. ولذا حكموا فى أمر الشفاعة سعدا زعيمهم بعد أن طلب

ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل سعد وهو على فراش المرض ليقضى فى الأمر فقال :

« انى أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذرارى والنساء . »

وهكذا استجاب الله دعاء سعد كاملا وأكرمه قبل أن يودع الحياة بثلاثة أيام اذ ينزل قرآنا يبارك حكم سعد فيقول تعالى : « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها وكان الله على كل شىء قديرا » .

وآن للصحابى الجليل أن يستريح .

وسارع اليه النبى يودعه فى لحظاته الأخيرة .. وأشفق عليه .. وأحس الرسول الرحيم بما يعانى هذا المجاهد الصادق — بعد سنوات قضاها مع الاسلام أشرف وأكرم ما يكون صدقا ووفاء واخلاصا وحبا لله ولرسوله .. وها هو يودع الحياة ولم يعش فيها غير سبعة وثلاثين عاما هى عمره كله . فأخذ برأسه ووضعها فى حجره ودعا ربه « اللهم ان سعدا قد جاهد فى سبيلك ، وصدق رسولك ، وقضى الذى عليه ، فتقبل روحه بخير ما تقبلت به روحا .

وتناهى الى روح سعد المحتضرة دعوات النبى الكريم .. ففتح عينيه ليملأهما من رسول الله .. وليكون هو آخر ما يراه فى حياته

.. وقال مع حشرجة الموت « السلام عليك يا رسول الله . أما . أنى لأشهد .. أنك رسول الله ... » فرد عليه النبى قائلا : « هنيئا لك يا أبا عمرو .. » .

وانتهى آخر عهد سعد بالحياة ..

ولحق بالرفيق الأعلى ..

وتعانقت الدموع فى ايمان ..

ليقول سيدنا رسول الله لمن حوله ..

« لقد اهتز عرش الرحمن .. لموت سعد ابن معاذ .. » .

صانع السلاح ومعلم القرآن
خباب بن الأرت

جاء الى مكة رقيقا بعد أن سطا قوم من بنى عامر على أبيه فقتلوه وسبوا خباب بن الارت وأمه وأخته .. وباعوا الأم والأخت كلا فى مكان بعيد . ثم ساقوا الصغير الى مكة علهم يجدون من يشتريه .. وأشفقت عليه امرأة يقال لهـا أم أنمار . رأت ملامح الطفولة المعذبة على وجهه .. ودموع الحزن على مقتل أبيه أمام عينيه .. وفراق الأم والأخت .. وفوق هذا عذاب الطريق والخوف من المستقبل المجهول .. رأت كل ذلك أم أنمار فاشترته بدراهم قليـلة من أصحابه .. وظلت تعطف عليه .. وتقبل على تربيته . والناس من حولها يعجبون لأمرها ..

اذ ماذا يعجبها فى هذا الطفل الحزين دائما .. والضعيف البنية .. والذى لا يرجى الا أن يكون راعيا للغنم لو قدر على ذلك .. ومرت الأيام ..

وشهدت مكة فى خباب .. فتى يقبل على التعرف على صناعة الحديد والسلاح حتى أصبح أشهر من يعمل فيهما ويصنعهما فى مكة كلها .. ويكسب الأموال ويغدقها على أم أنمار فيعوض عليها ما فات .. هكذا . ومن غير مقدمات أصبح خباب علامة مميزة فى مكة كلها . وتحدث عنه كل الناس وبلغ الفتى العشرين من عمره . وأصبح يرى الحياة بمنظار غير الذى كان يراها به من قبل .. لقد تجسد له الظلم الذى صاحب عمره .. والطغيان

الذى كان ضحيته . وأثارته من الأعماق صــور الحياة التى يراها من الفساد والانحلال والطبقية التى تعطى لقلة من الناس التحكم فى مقدرات الناس جميعا من حولهم .. بل وحياتهم أيضا .. وكان يتراقص أمام عينيه دائما سؤال .. لكن ما العمــل .. وكيف الخلاص .

وظل هكذا كما يقول التاريخ أكثر من عامين .. حتى جاءه من يخبره نبأ دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام فيجـد فيها ما كان يبحث عنه .. ويجد فى أول كلام من القرآن يسمعه ما يهز كيانه كله و .. غذاء لروحه وهو قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم . كلا ان الانسان ليطغى . أن رآه استغنى .. ان الى ربك الرجعى » .

ولم يبت خباب بن الارت ليلته الا بعد أن يلتقى بالنبى .. ويصبح واحدا من المسلمين .

وينتشر خبر اسلام خباب ويضيق به زعمــاء قريش وعلى رأسهم أبى جهل ويقسم أن يعيده الى وثنيتهم أو يريه من العذاب ما لم يره فى حياته وأشد من النــار التى يصــنع منها الحديد والسلاح ويدخل أبو جهل ذات يوم على نادى قومه وهو يضحك ليدعوهم ـــ أغدوا ان شئتم على منظر عجب ، ان ابن الخاتنة قد صبا وانا محرقوه بالنار . قبل أن ينتصف النهار .

وينضم خباب من ذلك اليوم مع القافلة الأولى من أصحاب محمد الذين امتحن الله ايمانهم .. ليكونوا من بعد نجوما ، وهداة ومعلمين للبشرية جميعا حتى تقوم الساعة ..

ويعذبه الكفار .. أبشع أنواع التعذيب .. فيغلقون مكان عمله ويجربون معه كل ما عرفوه من وسائل الاضطهاد والتنكيل والايذاء .. و ويتركونه أياما ليعيدوا معه وسائل أخرى .. ولا يخرج عن دينه بل يظل صامدا مؤمنا .. صابرا .. حتى يقول الشعبي واصفا ما لقيه خباب « لقد صبر خباب ولم تكن له بين يدي الكفار قناة فجعلوا يلصقون ظهره العاري بالرصف حتى ذهب لحمه . »

ومع كل هذا الصبر .. كان يستعجل ساعة النصر .. لتكون ساعة الخلاص فذهب الى رسول الله يوما هو وبعض أصحابه من الذين يلاقون العذاب من قريش وزعمائها يوما بعد آخر .

وطلبوا منه صلى الله عليه وسلم قائلين : يا رسول الله ، « ألا تستنصر لنا » وجاءهم الرد المعلم ، كما يرويه خباب بنفسه « فجلس عليه الصلاة والسلام وقد احمر وجهه وقال . قد كان من قبلكم يؤخذ منهم الرجل فيحفر فوق رأسه ما يصرفه ذلك عن دينه .. ويمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه فما يصرفه ذلك عن دينه .. وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخشى الا الله عز وجل والذئب على غنمه ولكنكم تعجلون . »

ويمضى خباب وأصحابه بعد ذلك يتقبلون العذاب بنفس مضيئة راضية ايمانا منهم أنه نوع من الابتلاء .. ويشتد الكفار فى ايذائهم ويشركون معهم فى تعذيب خباب أم أنمار نفســها التى تضع الحديد المحمى على رأس خباب وتطلب منه أن يخرج من دين محمد الى دين آبائها . ويمر الرسول ذات يوم فيجد ما يعانيه خباب من الحديد فوق رأسه يشــويه ويلتقى بعينى خباب ويرفع عينيه الى السماء ويداه مبسوطتان ويقول ــ اللهم أنصر خبابا ــ

ولا تمر أيام قليلة حتى تمرض أم أنمار وتصــاب بالصرع وتعوى كالكلاب ويبحث لها أهلها عن العلاج فيؤكد الأطبــاء أن لا شفاء لها الا اذا كويت بالنار على رأسها .. وتتقبل العلاج ليترك الناس بعدها خبابا فى طريقه مكتفين بعزله عن مجتمعهم وعدم السماح له بالعمل فى حرفة يتعيش منها . معهم

ويتحول صــانع الســلاح . الى عمل آخر .. الى قارىء قرآن .. ومعلم اسلام .. فكا نيذهب الى بيوت المؤمنين الذين تضطرهم ظروفهم الى كتمان دينهم .. ينقــل اليهم الجديد من تعاليم النبى .. وما نزل من آيات الكتاب يحفظها لهم .. ونبغ فى ذلك حتى أصبح مع الأيام مرجعا لما نزل من القرآن ومن أجل ذلك يقول قارىء رسول الله .. عبد الله بن مسعود « من أراد أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ بقراءة ابن أم عبد » .

وشيء يعتز به خباب .. فى مرحلته هذه قبل أن ينطلق مع النبى بعد الهجرة غازيا ومجاهدا فى سبيل الله ذلك أنه كان فى بيت فاطمة أخت عمر بن الخطاب يعلمها وزوجها القرآن يوم أن دخل عليهما عمر ليعرف خبر اسلامها .. واختبأ خباب حتى سمع عمر يقول « دلونى على محمد .. » فخرج .. ليصيح فى وجهه حتى لا يتردد فى الذهاب الى النبى وأعلن اسلامه « يا عمر والله انى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فأنى سمعته أمس يقول . اللهم أيد الاسلام بأحب الرجلين اليك أبى الحكم عمرو ابن هشام أو عمر بن الخطاب . فالله الله . يا عمر « فيسأله عمر عن مكان محمد .. فيقول له خباب » « عند الصفا فى بيت ابن الأرقم .. »

وينطلق عمر ليعلن اسلامه .. وينطلق خباب فى طريقه حاملا تعاليم الاسلام .

وأصبح خباب من الملازمين لرسول الله .. يسمع منه .. ويتعلم على يديه .. وينتقل معه من مكان الى مكان

ويأذن الله بالهجرة .. ويهاجر خباب .. ويشترك مع النبى فى كل المواقع .. ويثبت على دعوة الحق .. ويبلغ به الايمان مداه حتى يحس العلية من القوم بالغيرة منه ومن أمثال بلال وصهيب . ويسألون الرسول أن يكون لهم يوما يلتقون فيه ويجعل يوما آخر لا مثال خباب وبلال وصهيب ، وهكذا

بالاسم وقبل أن يرفض النبى مطلبهم .. ينزل قوله تعالى يمجد هؤلاء الأبطال من أعلام المسلمين ويكرمهم ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدو نوجهه . ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين .

وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين . واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة » .

ومن أجل ذلك كان ايثار النبى بعد هذا لخباب وأصحابه حتى أنه كان يلقى الواحد منهم ويقول له صلى الله عليه وسلم كلما لقيه « أهلا بمن أوصانى بهم ربى »

ويرضى عليه النبى ..

وينتقل صلوات الله عليه وقد أشهد الدنيا هذا الرضاء وهذا الحب .. ويظل خباب من بعد الرسول على الولاء لدينه وبنفس العمق والايمان والحماس .. ويصر على أن يكون مكانه مع المرابطين والمجاهدين .. ويشترك فى جميع معارك الردة .. ومن بعدها الفتوحات فى عهد أبى بكر .. وعمر .. وتشهد المدينة ذات يوم حديثا متبادلا بين عمر وخباب وقد جاء يستأذنه فى اللحاق بجيش المسلمين الى العراق ــ فيلقاه عمر فى حفاوة وترحاب ويجلسه على متكئه ويقول « ما على الأرض أحد أحق

منك بهـذا المجلس الا رجلا واحدا فيقول خبـاب . من هو يا أمير المؤمنين . فيقول عمر بلال ـ وفى رواية أخرى عمـار بن ياسر ـ فقال خباب ما هو بأحق منى . لقد كان له من قريش من يمنعه ويقوم دونه فأما أنا فلم يكن لى أحد . ولقـد رأيتهم ذات يوم أخذونى ثم أوقدوا لى نارا فسلقونى فيهـا ثم يقبل رجل فيضع رجله على صدرى فوالله ما اتقيت برد الأرض الا بظهرى » ثم يرفع رداءه فيرى عمـر ومن حضر من أصحـابه ما بقى فى ظهر خباب من آثار العذاب فيجدونه لا يخفى العظم غير آثار جلد ، فينحنى الجميع اجلالا واحتراما لهذا العذاب فى سبيل الله .

ولم يمنع ذلك كله خبـاب من أن يكون دائما مع طليعة المجاهدين . ورابط فى الكوفة حين أدركته الشيخوخة وعاودته آلام التعذيب فرقد فى فراشه يعالج وينتظر قضاء الله حتى قيل أنه اكتوى فى بطنه سبع كيات كعلاج من آثار علل عاشت معه من أيام الاسلام الأولى بمكة .

وأصبح الأمل فى الحياة واهيا . ويدخل عليه بعض المسلمين من أصحابه ومعارفه مواسين فيجدونه قد ملك عليـه الخوف والحزن والألم كل أمره ويقـول لهم « لولا أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن نتمنى الموت لتمنيته .. » وتنهال دموعه حتى تبلل صدره .. فيعزيه بعض زواره من أصحـاب النبى أبشر أنا عبد الله اخوانك ـ ويسمونهم ـ تقدم عليهم غدا .

فيزداد بكاءه ويقول « أما أنا ليس بى جزع ولكن ذكرتمولى أقواما وسميتموهم لى اخوانا وأن أولئك مضوا بأجورهم كما هى وأنى أخاف أن يكون ثواب ما تذكرون من تلك الأعمال ما أتينا بعدهم » وراح خباب بعدها فى غيبوبة . ليفيق بعدها فيشير الى مكان وضع فيه عطاءه من المال وقال « والله ما شددت عليها من خيط ولا منعتها من سائل » .. « ونظر الى كفنه وكان يراه اسرافا وقال » انظروا هذا كفنى . لكن حمزة عم رسول الله لم يوجد له كفن يوم استشهد الا بردة ملحاء اذا جعلت على رأسه فصلت عن قدميه واذا جعلت على قدميه فصلت عن رأسه .. وأشار الى ابنه وغلبت عليه طبيعة المسلم المعلم وقال « يا بنى اذا أنا مت فادفنى بهذا الظهر فان الناس اذا رأوا ذلك قالوا صاحب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دفن بظهر الكوفة ثم دفنوا موتاهم خارج المدينة .. » وذلك أن أهل الكوفة كانوا يدفنون موتاهم فى قبور مجاورة لمساكنهم

ومات خباب بن الارت .. صانع السلاح ومعلم القرآن .. وصلى عليه وعلى رضى الله عنه .. وقال فيه مواسيا رحم الله خبابا .. لقد أسلم راغبا .. وهاجر طائعا .. وعاش مجاهدا » ..

ثائر من الثوار

حمزة عم النبي

عاش حياته ثائرا على الظلم .. وعلى الفقر .. وعلى الأوضاع التى كانت عيناه تقع عليها .. ولكنه لم يكن يعرف ماذا يفعل ..

ومن أجل هذا كان يغرق نفسه فى النسيان بشرب الخمر .. ويسير مع الخلان .. وينطلق الى الصيد .. بعد أن تغلب على ظروف حياته القاسية التى جعلته يصـل الى حافة الاملاق .. وارتفع فوقها وصار له من القوة والجاه ما يجعل عظماء قريش وكبـار القوم كلمـا شاهدوه وقفوا له .. اجلالا واحتراما .. واستمسكوا به فى معركتهم ضد محمد عليه الصلاة والسلام .. فقد كان القوم يعرفون حب حمزة لابن أخيه .. وهما رفيقا عمر .. وزميلا حياة .. نشأ معا ليس بينهما فارق غير عامين فقط وأن اختلف الرواة فى هذا الفـارق ، الا أنهما أجمعوا على المودة العميقة والحب الكبير الذى كان حمزة يحس بهمـا نحو ابن أخيه .. ولهذا السبب كان حمزة نفسه يهرب من هذا الحب .. كى لا يخرج عن دين آبائه الى دين محمـد . الى أن كان ذات يوم .. لقى فيه النبى صلوات الله وسـلامه عليه من ابن جبـل الكثير .. فقد اعترضه وأذاه وشتمه ونال منه ما يكره وسبه فى دينه ونفسه ، ولم يكلمه رسول الله أو يرد عليه .. ولكن القوم من حولهما رأوا وسمعوا .. وكان بين القوم خادم لعبد الله بن جدعان ، تأثرت لمـا حدث ووقفت تبحث عن حمزة .. ولـكنها علمت أنه ذهب للصيد من أول النهار ولم يعد .. فظلت تنتظره بالقرب من الكعبة لأنها كانت تعلم عادة حمـزة فى أنه يطوف

بالكعبة كلما عاد من الصيد قبل أن يذهب الى بيته .. وكانت هـذه الخادمة التى دخل الى قلبها حب النبى تصر على أن ترى حمزة قبل أن يعود الى بيته .. وأن تطلعه على ما حدث لابن أخيه من اهانات ، وتثير فيه حبه لابن أخيه ، وبالتالى تستغل هذه الطاقة الثورية فى الدفاع عن دعوة الاسـلام .. ورسـالة النبى صلى الله عليه وسلم ..

وجاء حمزة ..

وطاف بالكعبة ..

وتلقته خادم عبد الله بن جدعان .. وأوقفته الى جوار الكعبة وقالت له : « يا أبا عمارة ، لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد آنفا
ـ« يا أبا عمارة ، لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد آنفـا
من أبى الحكم بن هشام .. وجده هنا جالسا فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره .. وابن أخيك لا يرد عليه » .. وأخذت تقول كل ما حدث تفصيلا .. وحمزة يرتفع الدم الى رأسه مع كل كلمـة يسمعها حتى يقطع الحديث .. ويمتشق قوسه ويعـود مسرعا الخطى بحثا عن أبى جهل .. الى أن لقيه ببعض القوى فهوى بقوسه على رأسه فانبثق منها الدم حتى خضب الأرض ولطخت ثوبه وثياب من حوله وصرخ فيه .. « أتشتم محمد وأنا على دينه أقول ما يقـول ، ألا فرد على ذلك ان استطعت » .. ولم يرد أبو جهل .. ولم يتحرك واحدا من القوم ، فقد أذهلتهم مفاجأة اسلام حمزة .. وخشوا بطشه وقوته .. ولكنهم بدأوا يستجلون

الخبر .. خبر اسلام حمزة الذى لم يعرفوه من قبل اذ قالوا :
« ما نراك يا حمـزة الا قـد صبأت » .. فقـال حمزة :
ما يمنعنى وقد استبان لى منه ذلك .. أنا أشهد أنه رسول الله
وأن الذى يقـوله الحق ، فوالله لا أنزع فامنعـونى ان كنتم
صادقين . »

فصمت الحاضرون ..

وانصرف حمزة يفكر فيما حدث كله .. أنه لم يلق محمدا ..
ولم يعلن اسلامه .. فكيف قال ما قال .. ولم يمكث فى داره الا
قليلا ليعود متجولا يعاتب نفسه كيف أعلن اسلامه ولا يزال فى
قلبـه حنين الى دين أبائه .. ويحدثنا حمزة عن هـذا الموقف
كله فيقول : « ثم أدركنى الندم على فراق دين آبائى وقومى ..
وبت من الشك فى أمر عظيم لا أكتحل بنوم .. ثم أتيت الكعبة
وتضرعت الى الله أن يشرح صدرى للحق ويذهب عنى الريب ،
فاستجاب الله لى وملأ قلبى يقينا .. فغدوت الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأخبرته بما كان من أمرى فـدعا الله أن يثبت
قلبى على دينه .. »

ومن يومها وحمـزة يقف لقـريش وكل الكافرين موقف
المناضـل المتحدى .. يدافع عن دينه ويذود عن المسـلمين ..
فاهتز لذلك خصـوم النبى .. وحاولوا أن يثنوا حمـزة وأن
يعيدوه الى صفوفهم ، ولكنه كان قد وجد نفسه .. باسـلامه ..

ومارس ثورته فى اعلاء كلمة الله بقربه من رفيق عمه ابن أخيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

ودخل حمزة فى معارك استعمل فيها كل الأسلحة فى اعلان دين الله . . وضرب . . وضرب . . وجادل وناقش . . وكان فى كل المواقف ينتصر لدينه فان لم تصلح الكلمة استعمل اليد .. ولهذا أطلق عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم « حمزة أسد الله وأسد رسوله » .

وفى أول سرية فى الاسلام وكانت الى سيف البحر من أرض جهينة ، كان قائدها حمزة سيف الله وسيف رسوله .

وأول راية عقدت لواحد من المسلمين عقدها رسول الله كانت لحمزة ..

وهاجر مع المهاجرين الى المدينة .

ولم يشترك المسلمون فى قتال الا كان حمزة فى مقدمة الصفوف يقاتل فى شجاعة وايمان ودائما يذود عن رسول الله .. يتبعه بعينه وقلبه وهو فى وسط المعارك وبين دماء القتلى .. وصرعى ضرباته ..

وجاء يوم بدر ..

وظهر حمزة فى ساحة القتال .. ولأمر يريده الله اختار حمزة كبار القوم لقتالهم .. كان يدعوهم بالاسم ويصفهم بصفات تثير فيهم الحمية فيخرجون من وراء الصفوف ليقاتلهم .. فيصرعهم ويروى الأرض بدمائهم ويصرخ بأن الله قد أراح المسلمين من فلان ويتبعه بآخر .. أما الذين لم يخرجوا له من المشركين فقد كان

حمزة ينتقى منهم كبار رجال قريش وأعوانها ليقاتلهم ويقتلهم .
وعادت قريش بعد انتهاء المعركة تجر أذيال الهزيمة وتفكر فى يوم العودة للأخذ بالثأر .. وكان فى رأس كل واحد من الزعماء .. شخص واحد يجب أن يقتل أولا ، وهو حمزة بن عبد المطلب .. وبدأ كل واحد منهم يفكر فى طريقة للتخلص منه .. أيا كانت هذه الطريقة . وكان فى مقدمة هؤلاء جميعا هند بنت عتبة أم معاوية وزوجة أبى سفيان .. فقد خلفت وراءها أباها وعمها وأخاها وابنها قتلهم جميعا حمزة .. ولذا أقسمت أن لا تبكى واحدمنهم حتى تأخذ الثأر من حمزة .. وتمثل به .. وبدأ كل فريق يستعد للقاء .

ولم يكن يجول بخاطر حمزة وهو يستعد ليوم أحد أن هناك مؤامرة قد دبرت لقتله .. ولم يصل المسلمون أى خبر عن هذه والا لأحبطوها ..

وجاء يوم أحد ..

وكانت هند وأبو سفيان معها قد أعدا عبدا حبشيا لهما يقال له وحشى اشتهر بالرماية والسداد ، ووعدته هند بحريته وبقلائدها الذهبية وكل مصاغها ان قتل لها حمزة . وحدد وحشى موقعه من المعركة .. بحيث لا تغيب عن عينه حمزة .. ولم يشترك فى المعركة ، وانما كان يبحث عن أسد الله وأسد رسوله ليقتله .. وهذا هو عمله الوحيد .

والتقى الجمعان ..

وقامت فى تاريخ الاسلام أحد معاركه العنيفة ..

وتوسط حمزة ساحة القتال مزهوا .. يقاتل بسيفين . . لا يقابله واحد الا قتله .. حتى بلغ عدد قتلاه يومها واحد وثلاثين قتيلا من خصوم الاسلام الالداء .

وأوشكت المعركة على الانتهاء .. وبان النصر واضحا للمسلمين .. فابتدأ ميزان القوى يختل .. ومرت فترة مريبة . . انتهت بانكشاف عسكر المسلمين .. وجحافل من قريش تهاجم المسلمين .. وهنا .. ومرة آخرى .. نظهر حمزة .. كأنه يقاتل الموت نفسه .. وعين وحشى وغيره ترقبه تنتظر لحظة تجهز عليه.. حتى حانت الفرصة ..

ويصف وحشى هذا الموقف فيقول : « فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره حتى رأيته فى عرض الناس مثل الجمل الأورق يهد الناس بسيفه هدا ، ما يقف امامه شيء .. فوالله انى لأتهيأ له واستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو منى اذ تقدمنى اليه سباع بن العزى فلما رأه حمزة صاح به هلم الى يا ابن مقطعة البظور ، ثم ضربه ضربة ، فما أخطأ رأسه وعندئذ هززت حربتى حتى اذا رضيت منها دفعتها نحوه فوقعت فى ثنته حتى خرجت من بين رجليه ونهض نحوى فغلب على أمره ثم واتيته فأخذت حربتى ثم رجعت الى المعسكر فقعدت فيه اذ لم يكن لى فى غيره حاجة فقد قتلته لأعتق .. »

وكانت هند تنتظر هذه اللحظة ومن حولها كبار المشتركين ، وما كادت ترى وحشيا ويخبرها بما فعل مؤكدا لها ما سمعت به

من قبل وصوله حتى فرحت فرحا كبيرا .. وأمرت وحشيا أن يعود فيأتيها بكبد حمزة ينبض بالحرارة قبل أن يبرد .. وأطاعها وحشى وحقق لها رغبتها وعاد اليها بكبد حمزة والدم ينزف منها .. فأخذتها تريد أن تأكلها .. ووضعتها فى فمها فاستمصت عليها فأمرت جواريها وصاحباتها بالغناء .. وقطعن كبد حمزة .. وعملن منه « حلقان » ..

وانتهت موقعة أحد ..

واستشهد سيف الله .. وثائر من الثوار الأول الذين رفعوا لواء راية لا اله الا الله .. محمد رسول الله .. ودافع عن الاسلام والمسلمين حتى قتل ..

وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه اصحابه ينظرون الشهداء .. فيأخذوهم ليواروهم التراب .

ووقعت عينا الرسول وصحبه على جثمان حمزة وقد فعلت به الأفاعيل .. وامتلأت عينا الرسول بالدمع وقال كمن يناجى عمه « لن أصاب بمثلك أبدا وما وقفت موقفا قط أغيظ الى من موقفى هذا » .

ونظر الى أصحابه وهم يواســونه بقلوبهم وعيونهم وقال « لولا أن تحزن صفية ويكون سنة من بعدى لتركته حتى يكون فى بطون السباع وحواصل الطيور ولئن أظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم » .

واذا بالصحابة يتجاوبون مع الرسول العظيم فى حزنه وألمه

لما رأى .. ويقسمون « والله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب » .

ولكن الله سبحانه وتعالى الذى أكرم حمزة بالشهادة .. زاد حمزة اكراما فى مماته بأن نزل قرآنا على رسول الله يحدد له طرق التعامل مع الناس أعداء وأصدقاء .. وقبل أن ينتهى صحابة الرسول من الحديث معه مجاملين معزين .. نزل جبريل بقوله تعالى « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين . وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ، ولاتك فى ضيق مما يمكرون ، ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

ويقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحابته كلام الله .. ويمسك الجميع دموعهم .. ويحملون بقايا جثمان حمزة الى حيث يصلى عليه رسول الله مع كل شهيد من المسلمين حتى صلى عليه سبعين مرة ..

وانتهت الصلاة ..

لينظر رسول الله الى عمه فى حب وحزن .. ويقول قبل أن يوارى جثمانه « رحمة الله عليك فانك كنت ما علمت وصولا للرحم فعولا للخيرات » .

ثالث الزهاد

عمير بن سعد

كان عمير بن سعد واحدا من الذين تلقوا العلم من المدرسة المحمدية فى صدق واخلاص .

وكان واحدا من الصحابة ..

وواحدا من أبر أبناء صحابى جليل . فقد كان أبوه سعد بطلا من الرعيل الأول فلم يتخلف عن مواقع النضال ولم يترك معركة الا وساهم فيها مع النبى ومن أتى من بعده صلى الله عليه وسلم.. ليرفع راية الاسلام ولينشر دين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حتى استشهد فى موقعة القادسية وليترك وراءه واحدا من عظماء الدنيا هو عمير .

أخذ من الرسول أعظم شهادة وعاش طوال عمره مع النبى وبعده أياما مباركة .

فرغم صغر سنه فقد اشترك كما يؤكد بعض الرواة فى مواقع قتال بجوار النبى وأخذ يعب من العلم المحمدى فى تواضع ولم تغره مكانة أبيه ولا جهاده حتى أنه ليقال ان مكانه المفضل كان فى الصفوف الأخيرة أيام السلم .. والصفوف الأولى فى حلقات العلم ومواقع القتال الى أن أطلق عليه بحق .. انه نسيج وحده .

وكان له مفهوم من وحى المدرسة المحمدية يسير على هداه فى حياته مؤمنا بأن الدين أولا وبأن الله ورسوله

قبل كل الدنيا .. وكل الناس — وبأن ولاءه المطلق لدين الاسلام قبل كل ما يتعارف عليه الناس ..

فقد حدث ذات يوم أن كان عنـده بعض أقاربه وبينهم جلاس بن سويد الصامت ولم يكن قد مضى على اسلامه طويلا .. وكان معروفا أن اسلامه ليس عن صدق بل خوفا وطمعا .. واذا بجلاس يقول لأحد الجالسين عن النبى :

« لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمر »

ولم يكد جلاس يطلق هذه العبارة حتى تفجرت فى نفس عمير كل معانى الثورة .. اذ كيف يقول رجلا يؤمن بالله ورسوله هذا القول على نبيه .. ثم كيف يصبر هو على مثل هذا الكلام .. ولكن تنازعته طبيعة العربى وشدته الى واجب الضيافة فكيف ينقل ما يقال فى داره ..

وما بين الثورة والحيرة .. والغيظ والألم وجد عمير مخرجا يتفق مع كونه فى اسلامه « نسيج وحده » فقال لابن سويد :

« والله يا جلاس انك لمن أحب الناس الى وأحسنهم عندى يدا وأعزهم أن يصيبه شىء يكرهه ولقد قلت الآن مقالة لو أذعتها عنك لآذتك . ولو صمت عليها ليهلكن دينى .. وان حق الدين أولى بالوفاء وانى مبلغ رسول الله ما قلت » .

وذهب عمير الى الرسول صلى الله عليه وسلم ..

كان كل الذى يخشاه ان يقولَ عنه بعض الضعاف ما يؤذيه وكان يخشى أكثر أن ينزل فى أمره قول من السماء ولذلك غادر البيت مسرعا وهو يقول : « لأبلغن رسول الله قبل ان ينزل وحى يشركنى فى الأمر .. بالتستر عليه ..

وعرض الأمر على رسول الله واستدعى جلاس فأنكر رواية عمير .. بل حلف بالله كذبا بأنه لم يحدث شيئا من ذلك .

ولكن كلام الله جاء يفرق بين حق وباطل .. فقد قال الله تعالى « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وأن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا والآخرة وما لهم فى الأرض من ولى ولا نصير .. »

واضطرب جلاس عند سماعه قول الله تعالى وجاء الى النبى معترفا معتذرا .. وصار من أحسن الناس اسلاما بعد ذلك ومن يومها ولا ينسى عمير والتاريخ ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم.. « يا غلام وفت اذنك وصدقك ربك » .

ولانه نسيج وحده كان يرفض كل المناصب وكل جاه الدنيا .. ولكنه كان يضع كل ذكاءه وايمانه فى خدمة الجهاد الاسلامى بلا تردد وفى وعى وشجاعة وصلابة يعرف لقدمه موضعها قبل أن يطأ الأرض فقد بعثه عمر بن الخطاب يوما على جيش الى الشام فجاءه يوما يعرض عليه الموقف وقال له « يا أمير المؤمنين ان بيننا

وبين عدونا مدينة يقال لها عرب السوس تطلع عدونا على عوراتنا فيعقلون ويفعلون » .

فقال عمر خيرهم بين أن ينتقلوا من مدينتهم وتعطيهم مكان كل شاة شاتين ومكان كل بقرة بقرتين ومكان كل شيء شيئين فان فعلوا فأعطهم ذلك وان أبوا فانبذ عليهم على سواء ثم آجلهم سنة .

فقال عمير : اكتب لى يا أمير المؤمنين ذلك ..

فكتب له .. ثم عرض عمير عليهم ما أشار به عمر فأبوا . فأجلهم سنة ثم نابذهم .. ونقل الى عمر أن عميرا ضرب عرب السوس .. وسكت عمير حتى انتهى غضب عمر فاستأذنه لحظة فدخل الى داره وجاء بأمر عمر واطلعه عليـه فخجل منـه أمير المؤمنين وقال له عبارته الشهيرة التى يتناقلها المسلمين ..

« غفر الله لك .. فانك نسيج وحدك . »

ولهذا .. وفى عهد عمر أيضا .. أراد الخليفة أن يعلم الدنيا كيف تكون الوالى الاسلامى وأن يقدم لهم نموذج مشرق ولم يجد أمامه غير عمير بن سعد ليتولى امارة حمص .

وذهب عمير .. ومرت الأيام .. ولم يصل المدينة شيء من فىء حمص .. ولكن أخبارا مشرقة عن الحكم الاسلامى وعن ازدهار الحياة بها كانت تأتى دائما وباستمرار فتملا المجالس ..

فأرسل اليه الخليفة عمر يقول : «أقبل بما جبيت من الفىء»
عبارة واحدة لا أكثر .. ومع هذا فان عبد الملك بن هارون
يروى للتاريخ عن أبيه وجده أسطورة هذا الوالى عميرا فيقول

ان عميرا عندما وصلته رسالة أمير المؤمنين أخذ جرابه
وقصعته وعلق أدواته على كتفه وأخذ عصاه وأقبل المدينة راجلا
واستمر فى سيره حتى بلغ المدينة وجاء مجلس أمير المؤمنين :

فقال : السلام عليكم يا أمير المؤمنين
فقال عمر بعد الرد .. ما شأنك .

فقال : الست صحيح البدن . معى الدنيا . فظن عمر انه
جاء بمال وقال : جئت تمشى . فقال عمير . نعم .
فقال عمر : اما كان أحد يتبرع لك بدابة .
قال : مافعلوا ولا سألتهم .
قال عمر : بئس المسلمون .
قال : ياعمر ان الله قد نهاك عن الغيبة .
قال عمر : ماصنعت

قال : أتيت البلد الذى بعثتنى اليه فجمعت صلحاء ، أهله
ووليتهم جباية فيئهم وأموالهم حتى اذا جمعوها وضعتها فى
مواضعها ولو بقى لك منها شىء لأتيتك به

قال عمر : اما جئتنا بشىء .
قال : لا

فقال عمر لمن حوله جددوا لعمير عهدا

فقال : لا عملت لك ولا آحد ..

وترك عمير المكان وانطلق الى داره على بعد أميال من المدينة ليفكر عمر بن الخطاب فى الأمر فقد جاءته الرسل تقول أن عميرا كان من أزهد الناس ، وأنه كان نعم الحاكم .. كان لا يأخذ الا الكفافه ولم يكن بينه وبين الناس حجابا .. كان عندما يطلبونه .. وفى كل مايحتاجونه وكان معلما يدرس لهم الدين ندبا .. كما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم .. وكان قويا عملاقا فى الذود عن الحق والدفاع عن المظلومين وكان شجاعا فى ملاقاة خصوم الاسلام كالأساطير التى يسمعون عنها ، ولم يستطع أن يجمع له ثوبين ، وأنه رسم واجبات الحاكم المسلم فى أول عهده بالامارة فقال من على منبر المسجد فى حمص « ألا أن الاسلام حائط منيع وباب وثيق .. فحائط الاسلام العدل . وبابه الحق . فاذا نقض الحائط وحطم الباب استفتح الاسلام . ولا زال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان . وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط ولكن قضاء بالحق وأخذا بالعدل » .

ومع هذا كله .. فقد أراد عمر أن يزداد يقينا من حسن اختياره فبعث ابن الخطاب كما تقول رواية عبد الملك بن هارون رجلا بمائة دينار وقال انزل بعمير كأنك ضيف فان رأيت أثر شىء فاقبل وان رأيت حالا شديدة فادفع اليه هذه المائة .. فانطلق

فرآه يغسل قميصه فقال له عمير انزل فنزل فسأله وقال كيفه أمير المؤمنين .

قال ضرب ابنا له على فاحشة فمات ، فنزل به ثلاثا ليس الا قرص شعير يخصونه به ويطوون حتى قال الضيف انك قد اجعتنا واخرج الدنانير فدفعها اليه فصاح عمير قائلا لا حاجة لي بها وردها عليه ، فتدخلت امرأته تطلب منه أن يأخذها « فان احتجت اليها والا ضعها مواضعها » فقال عمير مالي شيء أجعلها فيه فشقت الزوجة من درعها فأعطته خرقة وجعلها فيه ثم خرج يقسمها بين أبناء الشهداء .

وعاد رسول عمر الى المدينة والتقى بالخليفة ليقص عليه الخبر فارسل رضى الله عنهما الى عمير يستدعيه .. فسأله عن الدنانير وما فعله بها فأجابه :

فأمر له أمير المؤمنين بطعام وثوبين

فرفض الطعام وقبل الثوبين ،

لأن أم فلان ــ زوجته ــ عارية .

وأخذ أمير المؤمنين يستحثه على البقاء معه وعلى أن يتولى له احدى الامارات ولكنه رفض وعاد الى معزله يتدارس مع المسلمين أمور دينهم وينتظر أمرا واحدا من عمر كما ذكر له .. وهو أن يستدعيه اذا كان الأمر دعوة الى الجهاد فى الثغور أو فى أى معركة من أجل الاسلام أو من أجل التشاور للدعوة المحمدية .

ولكن سعد لم يطل به الانتظار فقد طواه الموت . .

وانتهت حياة مباركة ..

لرجل مبارك ..

نسيج وحده فى اسلامه .. وايمانه حتى لتقول الرواة ..

زهاد الانصار ثلاثة .. « وعمير بن سعد . »

خالد بن سعيد

خامس المسلمين

خالد بن سعيد واحد من الرعيل الأول .

وواحد من تلاميذ المدرسة المحمدية الصادقين . وتقول عنه الروايات انه كان رابع المسلمين .. وتقول روايات أخرى أنه كان خامسهم .. ولكن أرجح الروايات تؤكد أنه كان خامس من آمن بدين الاسلام .

وتاريخ خالد .. أسطورة وحدها فى دنيـــا الايمان .. فلم يعرف الاسلام ويقبل على الدين رغبة فى دنيا أو جاه .. وانما من أجل الله خالق الكون .. ولكى يكون عامل بناء فى هذه الدنيا لا واحدا من الأصفار .

وقد عاش خالد فى مكة قبل البعثة المحمدية فى أعظم بيوتها. شاب تتحدث عنه كل المجالس ويتمناه الجميع صديقا ، وصهرا .. ولأنه الابن المقرب لسعيد بن العاص .

ولكن الأيام تمر بالشاب وهو غير راض عنها .. فليست هذه هى الحياة التى يخلق لها الرجال .. وانما خلقوا لأشياء أخرى . ولكن ما هى ؟.. هذا ما كان يحيره .!

وظل فى حيرته الى أن كان ذات يوم . وقد ظهرت الدعـــوة المحمدية .. وعرف خبر الاسلام .. ولكن خالدا لم يقـــدر عـــلى الاقتراب من مجلس النبى .. خوفا من قومه .. ورهبة من أبيه .. وبدأ الصراع العنيف فى أعماق خالد .. انه يرى الحق ممثـــلا فى دعوة النبى ولا يقدر على الاقتراب منه والايمان به .. وأنه يرى

فى دعوة سيدنا محمد راحة له مما يعانيه .. وبينما هو على ذلك اذ نام ذات ليلة ليقوم مع الصباح متجها الى بيت أبى بكر حتى يقص عليه ما رأى فى منامه فيقول (لقد رأيت أنى أقف على شفير نار عظيمة وسعيد بن العاص أبى من خلفى يدفعنى نحوها بكلتا يديه ويريد أن يطرحنى فيها واذا ... بمحمد بن عبد الله يقبل على ويجذبنى من أزارى فينقذنى بعيدا عن النار) .

فيقول أبو بكر رضى الله عنه لخالد (أنه الخير أريد لك . وهذا رسول الله فاتبعه فان الاسلام حاجزك من النار) وبشير أبو بكر على خالد بالمسارعة فى لقاء النبى ومبايعته .. ولم ينتظر خالد .. ولم يتردد .

وراح يبحث عن النبى فى شعاب مكة حتى لقيه وفى وضوح أعلن له اسلامه .. (وانى أشهد ألا اله الا الله وأنك رسول الله) .

ولم يخف خالد اسلامه . فليس هذا من خلقه .. بل أعلنه على الناس جميعا .. وأصبحت مكة وهى ترى خالدا بن سعيد يتابع النبى فى كل خطواته .. يسمع منه ويلازمه .. وينفذ كل تعاليمه .

ولم يكن أبوه سعيد فى مكة آنذاك .. ولذا فقد صبر عليه القوم حتى أتى أبوه . وعرف خبر اسلام ابنه .. فنسى تعبه ومتاعبه .. وأرسل من يبحثون عنه ويأتون به .. ويدور بين

الأب والابن حوار عنيف قاس ينهيه بقوله (اذا فصحيح أنك اتبعت محمدا وأنت تسمعه يعيب آلهتنا) .

فيرد عليه خالد فى ثبات ورجولة (انه والله لصادق ولقد آمنت به) .

وضاق سعيد بن العاص بابنه .. وقام من مكانه لينهال عليه ضربا بكل ما تقع عليه يداه .. وصرخ فى أتباعه بأن يلقوا بهذا الابن ــ خالدا ــ فى حجرة مظلمة كان يعدها لتأديب عبيدة .

وبدأت أول مراحل ابتلاء خالد .. وتلقاها فى ايمان عميق ، وصبر وجلد .. وطالت مراحل العذاب والتعذيب ، ومنع عنه الطعام والماء .. ولقى كل أنواع المهانة .. ولم يقبل أن يترك دين محمد .. بل كانت عبارته الخالدة التى يرد بها على كل رسل أبيه .. ورسل العذاب أيضا (والله أنه لصادق ــ يقصد رسول الله ــ وأنى به لمؤمن) .

وانتشر خبر سجن خالد بين شباب مكة وزوارها .. ولم يتمكن المسلمون الأول من فك سجنه ليسافر مع المهاجرين الأول الى الحبشة .. وضاق أبوه سعيد بحديث القوم عن سجن ابنه .. وأراد أن يستعمل معه فى لحظات غيظ عنيف أسوأ مراحل التعذيب لعله يرجع عن دينه .. وأمر به فطرح على صخور مكة .. ثلاثة أيام تحت الشمس وفى ظلمة الليل ومن غير ماء أو طعام .. ولم يضعف ايمان خالد .. بل كان يردد (والله أنه لصادق .. وأنى به لمؤمن) .

وجاءه أبوه فى اليوم الثالث فواجهه بعبارته الخالدة وزاد فقال (لن أدع الاسلام لشيء .. وسأحيا به وأموت عليه) .

فيصيح فيه أبوه (اذهب عنى فواللات والعزى لأمنعنك القوت) .

فيرد خالد (افعل ما تشاء .. والله خير الرازقين) ..

ويأمر سعيد بطرد ابنه من داره ..

ويأمر مرة أخرى بتجريده من كل أمواله وتركه للضياع ..

ويأمر مرة ثالثة .. بمقاطعة ابنه فلا يعمل عند أحد . ولا يتعامل معه أحد .. ويصبر هذا المسلم العظيم لهذا البلاء ويعتبر هذه المرحلة ثانية مواقف الابتلاء من الله تعالى له فى ايمانه واسلامه .

ويصبر مع الأيام لا يتنحى ولا يتزعزع ايمانه بل يصاحب النبى فى كل خطواته . ويتعلم منه ويشارك رسول الله فيما يلقاه من قومه ..

ويشفق عليه رسول الله .. ويحبه .. ويسأل عنه دائما .. ويأمر أصحابه به خيرا ..

حتى جاء وقت الهجرة الثانية للحبشة .. فأمره رسول الله أن يكون واحدا من المهاجرين .. ويظل فى غربته لا يعذبه كما يقول لبعض أصحابه من المسلمين الأول الا بعد المسافة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

ويظل فى الحبشة حتى يأتيه هو ومن معه من المسلمين أمر

من النبى صلى الله عليه وسلم بالعودة الى المدينة ويشهد العام السابع الهجرى عودة هؤلاء الصحاب ..

ويلقى النبى خالد فى بشاشة وحب وكان صلوات الله عليـــه عائدا من خيبر .. ومن بعدها لم يترك خالد النبى .. فى حرب أو سلم .. واشترك فى كل غزواته .. وحضر جميع مجالسه .. حتى أن النبى يختـــاره ليوليه على اليمن بعد أن اســـتقر بها الأمر للمسلمين .. وفتح الله عليهم مكة .

وكان هذا كله قبل انتقال الرسول بمدة قصيرة .. ولذا فلم يكد يبدأ عمله حتى أتاه خبر انتقال النبى الى الرفيـــــق الأعلى وتولى أبو بكر الخلافة ..

وبالحب العميق لآل بيت رسول الله .. أحس خالد أنه غير راض على استخلاف أبى بكر . وجهر برفضـــه البيعة له لأن واحدا كعلى فى نظره خير من أبى بكر لهذا الأمر .. وكان رأى لخالد فى ذلك لمـــا رآه من حب النبى العظيم لآل بيته ، ومن حبه لفاطمة وعلى رضى الله عنهما .

وعندما عوتب خالد فى موقفه من البيعة كان رده أنه يتصرف من يتصرف من وحى من رأى .. لا من عواطفه التى تدين لأبى بكر لأنه كان أول من دله على الطريق الى رسول الله .. وأنه كان أول من عاونه فى محنته عند ما طرده أبوه وأمر بمقاطعته ..

ولم يجرأ واحدا من المســـلمين أن يعترض طريق خالد بن سعيد .. فكل منهم يعرف مكانته من رسول الله .. وكلهم يعرفه

ما لقيه فى سبيل دينه .. وكلهم يعرف أنه يفعل ذلك حبا لله ولرسوله ولآل بيته .

وعندما انتهت أزمة البيعة الأولى بين أبى بكر وعلى رضى الله عنهما .. شاهد المسلمون بعد ذلك خالدا بن سعيد وهو يقفه فى مسجد رسول الله يعلن بيعته لأبى بكر ومن بعدها يقف الى جانبه ينصحه الرأى .. ويعاونه فى أمره .

ويطلب أبو بكر من خالد أن يتولى له احدى الامارات ولكنه يرفض .. فهو لا يريد امارة .. وانما يطلب بأن يتحدد له موقعا فى الجيوش المجاهدة ليرفع راية لا اله الا الله محمد رسول الله .. وليعلم الناس أمور دينهم .

وعندما بدأت الاستعدادات لتجهيز جيش الشام قرر أبو بكر أن يكون خالدا واحدا من أمراء الجيش .. ولكن عمر بن الخطاب يرى لأمر ما أن لا يكون خالدا بن سعيد واحدا من أمراء جيش الشام .. ويستمع له أبو بكر .. وينحى خالد من عمله بعد أن عرف الناس خبر امارته ..

ويذهب خليفة رسول الله الى بيت خالد يسترضيه فاذا به يجده فى ثبات وايمان غير متأثر بما حدث ويقول لأبى بكر :

(والله ما سرتنى ولايتكم . ولا ساءنا عزلكم) .

ويحدث خالد أبا بكر ويقول له .. والله ما طلبت منك امارة .. بل رفضتها .. وما كان لى أن أطلبها وانما أردت منك أن تحدد لى موقعا مع المقاتلين فى سبيل الله .. وفى أى مكان من الشام أو فارس .

وينقر سقر خالد مع المجاهدين الى الشام ..واحـداً منهم وهو راضى .. ويسأله أبو بكر عن أى فريق من المجاهدين يحب أن يكون .. مع الذى أميره عمرو بن العاص وهو ابن عمه .. أم مع شرحبيل بن حسنه .؟

فيقول خالد .. (ابن عمى أحب الى فى قرابته وشرحبيل أحب الى فى دينه ..)

وقبل أن يغادر جيش الشام المدينة .. يدعو أبو بكر شرحبيل ليقول له ارشاداته .. ثم يذكر له خالد بن سعيد فيقول (أنظـر لخالد بن سعيد .. فاعرف له من الحق لك لو كنت مكانه وكان مكانك ..

انك لتعرف مكانته فى الاسلام ..

وتعلم أن رسول الله توفى وهو له وال ، ولقد كنت وليته ثم رأيت غير ذلك .. وعسى أن يكون ذلك خيرا له فى دينه مما أغبط أحدا بالامارة ، وقد خيرته فى أمراء الأجناد فاختارك على ابن عمه .. فاذا نزل بك أمر تحتاج فيه الى رأى التقى الناصح فليكن أولا ما تبـدأ به أبو عبيدة بن الجراح ومعـاذ بن جبل وخالد بن سعيد ثالثا فانك واجد عندهم نصحا وخيرا .. واياك واستبداد الرأى دونهم أو اخفاءه عنهم ..)

وسار جيش الشام ..

وفيه الصحابى الجليل .. خالد بن سعيد .. خامس المسلمين واحدا من صناديده الأبطال .

واشترك الجيش في معاركه .. وأبلى خالد أحسن البلاء .. وقاتل كما كان يقاتل في أيام اسلامه الأولى .. ولم يتأخر عن القيام بدوره ناصحا للقائد ورائدا للمقاتلين .. حتى كانت موقعة مرج الصفر .. وشوهد خالد وهو يمرق بين صفوف الأعداء كالسهم .. يعمل فيهم القتل ويمزق صوته الأجواء مكبرا الله تبارك وتعالى .. ومهللا بلقاء الأحبة رسول الله ومن معه .

وانتهت المعركة ..

وتفقد الناس السيف المقاتل . والصوت المهيب وبحثوا عنه . فوجدوه مع الشهداء . وصورته كما هي لم تتغير وكما لو كان يحدثهم في أمور دينهم . ولم يملكوا ازاء هذه العظمة الا أن ينحنوا على جسده الصريع في خشوع ليضعوه في مقبرته بعد أن تسابقوا على الصلاة عليه مستروحين روائح النبوة . وهم يودعون واحدا من أحب المسلمين الى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم . خالد بن سعيد .

رجل من أهل الجنة

بلال بن رباح

كان أول ما سمع عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فى مجالس القوم وهو يخدمهم ، وبالذات من أميـــة بن خلف أحد زعمـــاء بنى جمح حيث كان بلال رضى الله عنه واحد من عبيدهم ..

كان يسمع أمية وزواره يتحدثون عن أخبار محمد بن عبد الله . ويسخرون من دعوة الاسلام التى يرفع لواءها داعيا الى الله فى واحدنية مطلقة ومساواة كاملة . ثم يعجب من هؤلاء القوم كيف يسخرون ، ولا يؤمنون .

وكان قلبه رضي اللهِ عنه يهتز لكل عبارة يسخر منها زعماء الشرك والكفر ولكنه لم يعرف الطريق الى رسول الله فقد كانت حياته الطويلة فى مكة عبد يرعى الغنم ، ويخدم أسياده ويحول ذلك بينه وبين منطلق الحياة .

ومع هذا .. فان بلالا أحس بحديث خصوم محمد يسرى فى أعماقه فيفتح أمامه مجالات جديدة . انها دعوة تتفق مع كل الذى كان يحس به فى خلواته . وفى عرض الصحراء ، ووحشة الحياة .

ولم يتردد بلال ..

وولم ترجفه أحاديث زعماء القبائل وهم يعددون الرسائل التى سيحاربون بها محمدا وصحبه .

بل انطلق يبحث عن رسول الله ذات يوم لا يذكره التاريخ لنا بالتحديد . وانما يؤكد أسبقية اسلام هـــذا العبد الحبشى الذى

هز الدنيا بعد ذلك . وأنه لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلن اسلامه . وأنه بذلك كان سابع المسلمين ، فالرواة يجمعون أن ترتيب المسلمين الأول الثمانية كان : خديجة ، وأبو بكر ، وعلى ، وعمار ، وأمه سمية ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد ، وان كانوا يجعلون من أبى ذر سادس المسلمين لاصهيبا .

وفوجىء زعماء قريش باسلام بلال ، فان هذا الأمر لم يكن مما يتوقعونه .

ولم يبال بلال بموقف زعماء الكفار بخبر اسلامه . ولا تهديد أمية بالذات له ، وهو الذى يقسم بأن الشمس لن تغرب على اسلام بلال أبدا .

وتبدأ الاستعدادات الضخمة لتعذيب هذا العبد الحبشى .. كأسطورة تهز الدنيا . وترسل الرعب الى كل من يفكر فى أن يلحق بدين محمد ..

ولكن .. الايمان بالله وحب رسوله كانتا تملآن كل حياة بلال وتفكيره . . لقد أحس بلال النور المحمدى يضىء أمامه الطريق فينسى أدوات التعذيب التى أعدت له . . ويصم أذنيه عن دعوات أمية ابن خلف وأصحابه ووعودهم فى أن يخرج عن دين محمد .. بل فى أن يسب محمدا ورب محمد .

ورفض بلال فى اباء واصرار كل هذه الدعوات .. ورفض أيضا وعودهم له بالحرية والتحرر .. وكان على لسانه نداء واحد تهتز له الدنيا ، وتهتز له قلوب كل من يسمعونه : « أحد .. أحد .. » .

وجربوا معه كل أنواع التعذيب التي يمكن أن يسمع عنها انسان عبر التاريخ .. ووضعوه عريانا فـوق الجمر .. وكانوا يخرجون به فى الظهيرة الى جحيم الصحراء ويطرحونه عريانا على حصاها الملتهب ويربطون حجرا كبيرا كالنار فوق بطنه .

وكرروا هذه المأساة أياما لعله يخرج عن دينه ويسب محمدا وآل محمد ولكن بلالا رضى الله عنه كان راسخ العقيدة .. كان نموذجا اسلاميا لكل مسلم من بعده .. فلا يتزحزح . ولا يضعف وانما يصرخ فى وجه الطغاة والدنيا كلها : « أحد .. أحد .. » .

ومرة أخرى يعودون الى تعذيبه بصورة أخرى . لقد ربطوا عنقه فى حبل وأمروا الصبية بأن يطوفوا به مكة فى كل أجزائها . وصمد بلال .

ومرة ثالثـة ، أخذوا يضربونه بالرماح حتى لا يترك فى جسده موضع واحد لم ينزف الدم . ويلقون الماء المغلى على هذه الجروح ليعاودوا الكرة فى التعذيب .

ومرات أخرى . وصورا متعددة من العذاب ، حتى يضيق بالتعذيب معذبوه ، ويصرخ فيه أميه بن خلف من الغيظ .

« أى شؤم رمانا بك يا عبد السوء . واللات والعزى لأجعلنك للعبيد والسادة مثلا » .

فلا يجيبه بلال الا بـ « أحد .. أحد » .

وتهتز كل جنبات مكة لهذا الصمود ، وذاك العـــذاب .. ويجرى أبو بكر باحثا عن بلال فى محاولة لانقاذه من هذا البلاء

ومهما كان الثمن .. ويجده .. والسياط تلهب جسـده الدامى فيرتمى عليه يضمه الى صدره ويقول لجلاديه : أتقتلون رجـلا أن يقول ربى الله ، ويصرخ فى وجه كبير الطغاة أمية بن خلف « خذ أكثر من ثمنه واتركه حرا .. » .

ويقبل أمية هذا العرض ليتخلص من عناد بن رباح . ويأخذ أبو بكر بلالا يعينه على السير . وأمية من خلفـه يستهزىء من هذا الشراء قائلا لأبى بكر : « لو أبيت أن تشتريه الا بأوقيـة واحدة لبعتكه بها .. » فيرد عليه الصديق فى صـدق واصرار : « والله لو أبيتم أنتم الا مائة أوقية لدفعتها » .

ويسير الصديق وبلال فى طريقهما ويذهبان الى رسول الله ، ليزف اليه أبو بكر خبر خلاص بلال . وأنه قد أعتقه أيضـا فى سبيل الله .

ويصبح العبد حرا .. عبد الله وحده .. عاملا من أجل تحرر النفوس ، وخلاصها لله الواحد القهار .

ويعمل خازنا لأبى بكر فى أول الأمر ثم خازنا لرسـول الله بعد ، حتى يصير مؤذن الرسول .. وأول مؤذن فى الاسلام عندما تقرر الأذان للصلاة .

ومنذ ذلك اليوم وبلال لا يترك رسـول الله . يتعلم منه ويعلم الناس ويدعوهم الى دين الله .

ومرة واحدة افترق بلال عن النبى وصاحبه يوم أذن الرسول

لبعض أصحابه أن يسبقوه بالهجرة الى المدينة ، وكان هو مع المهاجرين الأول وفى انتظار النبى صلى الله عليه وسلم .

وعندما وصل النبى الى المدينة كان بلال مع من استقبله . ثم كان مع الرسول يعمل فى بناء المسجد . ثم كان بعد ذلك أول من يعلمه النبى الأذان عندما قرره . ويطلب منه وهو الذى من قبل رفع نداء « أحد .. أحد .. » من وراء العذاب والتعذيب أن يرفع من فوق المئذنة الدعوة الى الصلاة ومظهر التوحيد والمساواة .. الله أكبر . الله أكبر .

وأصبح بلال مؤذن الرسول منذ ذلك الحين . يصحبه فى كل غزواته وكل روحاته . وشهد معه المعارك كلها ، حتى كان يوم بدر . ويومها يحق الله الحق ، ويأذن بلحظة العدل والانتقام فيتقابل بلال مع أمية بن خلف فيصرخ فى فرح .. « رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت ان نجا .. » .

ويسمعه بعض نفر من المسلمين فيهبون لمساعدته ونصرته وينهشون أمية بالسيوف حتى قتل ويقف بلال على جثته ويرفع عينيه الى السماء صارخا من القلب : « أحد .. أحد .. » .

ثم يتركه ليلحق بالرسول العظيم صلوات الله عليه ، يلازمه ويسمع منه وينقل عنه .

ويسأل عنه الرسول كلما غاب بين أوقات الأذان ، ويذكره بالخير للناس من حوله ، حتى أن بعض المسلمين جاؤوه يستأذنونه فى أن يزوج احدى بناتهم الى رجل عربى سموه فقال لهم صلى

الله عليه وسلم : « أين أنتم من رجل من أهل الجنة . أين أنتم من بلال » .

فانصرف القوم ولم يتحدثوا بشيء حتى كان الغد أتوا الرسول فكرروا مطلبهم فكان رد الرسول أين أنتم من بلال ؟ فانصرفوا أيضا حتى كان اليوم الثالث جاءوا الى النبى مكررين فأجابهم أيضا : أين أنتم من بلال ؟

والأحاديث كثيرة يرويها التاريخ عن مكانة بلال من رسول الله ..

ونصائح كثيرة رواها بلال عنه صلوات الله عليه . ومن ذلك : « أفضل عمل المؤمن الجهاد في سبيل الله » ، « عش فقيرا يا بلال مع الفقراء » . رمزا للنضال وعدم التغير والتلون . بل ان الرسول كان يعهد اليه فى تفريق ما يفضل من المال عنده ويقول له : « أتنظر حتى تريحنى منه » .

ومرت الأيام .

وفتح الله المسلمين مكة .

وعاد المهاجرون ..

وارتفعت راية الاسلام ..

ودخل النبى الكعبة . ولم يكن فى صحبته غير ثلاثة من المسلمين : عثمان بن طلحة صاحب مفاتيح الكعبة ، وأسامة بن زيد ، وبلال الذى أمره النبى أن يصعد فوق الكعبة ويرتفع صوته بالأذان .

ومرة أخرى تهتز مكة كلها لصوت بلال .. ولكن فى هذه المرة بايمان ونصر الله ، لا من خلال العذاب والتعذيب ، يرفع النداء : الله أكبر .

وينتقل الرسول وهو راض عن بلال . ويرفض بعدها مؤذن الرسول أن يؤدى مهمته وهى الأذان . فهو لا يطيق أن يؤذن ولا يرى رسول الله يؤم المسلمين . وانما طلب تغيير موقعه فى ميدان الدعوة المحمدية . ورفض كل العروض فى أن يبقى مع أبى بكر يعاونه فى شئون الحكم فلم يدخل الى الاسلام كى يحصل على مغنم . ولم يكن الاسلام قد دخل بعد قلوب الذين يعيشون من حول البلاد العربية ، ولذا فقد أصر على أن يكون حيث نصحه الرسول مع المجاهدين « فان أفضل عمل المؤمن الجهاد فى سبيل الله » .

واشترك فى حروب الردة .

ثم بدأ يستعد للذهاب الى الشام ليشارك المجاهدين فى سبيل الله .

ولكنه تأخر لوفاة الخليفة الأول .

ولما استقرت الأمور لعمر بن الخطاب ذهب اليه ليلقاه حتى يتدبر معه الأمر . وتشاء الظروف أن يجتمع فى رغبة لقاء أمير المؤمنين عمر مع بلال أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو

ابن الحارث ورهط من كبار العرب .. فيأذن عمر لبلال وصهيب أولا .. فيغضب أبو سفيان ويقول لأصحابه : لم أر كاليوم قط . يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه .. فيرد عليه سهيل وقد كان حكيما : « ان كنتم غضبا فاغضبوا على أنفسكم ، دعى القوم ــ الى الاسلام ــ ودعيتم . فأسرعوا وأبطأتم .. فكيف بكم اذا دعوا يوم القيامة وتركتم .. » .

ويذهب بلال الى الشــام ويقاتل مع المجــاهدين . وينشر تعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ولا يلتقى مع الكثيرين من الصحابة الأول ، الا يوم زار عمر الشام وألح عليه هو وكثير من المسلمين أن يسمعوا صوت مؤذن الرسول .

ومرة أخيرة .. تهتز قلوب المسلمين وأرجاء دمشق بصــوت بلال وهو يرتفع بالأذان ، ودموع الوفاء تبلل لحيته وصــوته يهتز عند أشهد أن محمدا رسول الله » .

ثم تمضى الأيام مع المجاهد .. رجل الجنة .. بلال بن رباح فى دمشق حيث أقام هناك معلما الناس أمور دينهم الى أن أتى أمر الله فمات بها وورى بها الثرى . وآخر عباراته تهز الدنيا .

(اليوم ألقى الأحبة .. ألقى محمدا وصحبه) .

جار النبي في الجنة

طلحة بن عبيد الله

كان أحد الذين أتاهم الله ما لم يهبه لأحد من قومه . ولا من الذين حوله .. وكان له حظ كبير فى الحياة .. يتاجر فيأتيه الربح أضعافا مضاعفة .. وكان كثير السفر .. قليل الاقامة يحب الحياة ، ويتمتع بكل ما فيها فان عزت عليه حيث يكون رحل اليها .

وأصبح طلحة بن عبيد الله واحدا من أعلام الثروة والجاه .. وواحدا ممن يشار اليهم فى مجتمع مكة ويعرفهم الناس فى كل مكان سواء فى مكة أو بين قبائل العرب .

وذات يوم ..

وكان قادم من سفر ..

جاء يسأل عن صاحبه أبى بكر الصديق .. فنظرت اليه الأعين جميعا فى دهشة واستنكار .. فكرر السؤال .. فجاءه الجواب أن أحداثا مرت بمكة فى غيابه فقد خرج عليهم محمد بن عبد الله يوما بدعوة جديدة ويقول أنه رسول من عند الله .. ويدعو الى التوحيد ، والى المساواة ، والى الحق المطلق والى الخير الكامل .. والى أن لا يكون هناك غنى مترف ، وفقير معدم بل الكل خلفاء لله فى أرضه وماله .. و .. أن أبا بكر كان أول من صدق به من الرجال ..

وانصرف طلحة الى بيته .. وفى أذنيه دوى .. وفى قلبه ثورة .. لا يمكن أن يكون محمد الأمين الصادق .. كاذبا . ولا يمكن أن يكون أبو بكر صديق العمر مفتونا .. اذا فلا بد أن يكون وراء هذه الدعوة التى تناصبها العداء جحافل (الأعيان) الكبار والمترفين والأثرياء سرا .. وانها لا بد وأن تكون حقيقة دعوة من الخالق الواحد .

ولم ينم طلحة ليلتها .. بل قام وسط الليل يبحث عن صديقه أبى بكر حتى وجده .. وظل يحاوره ويسأله عن الأمر الذى هز مكة .. وسيهز كل طغاة الدنيا .. وأبو بكر يقص عليه الأمر كله .. ولم ينته بهما الأمر الا وقد صاحبه طلحة الى النبى صلى الله عليه وسلم ليعلن اسلامه .. وأصبح طلحة واحدا من المسلمين الأول ..

واهتزت كل الأوساط باسلام طلحة .. وحاولت أن تعوده الى صفوفها .. ولكنه أصر على موقفه .. وزاد .. بأن ماله مرصود كله للانفاق على الدعوة المحمدية .. وأنه سيساهم مع الدعاة .. وسيلقى ما يلقون ..

وصدق طلحة فيما قال ..

ومرت الأيام وطلحة صادق فيما قال ..

وتعرضت ثروته الطائلة لهزات عنيفة فلم ينحن .. وبوشرت معه وسائل التعذيب فلم يتراجع .. وسار فى طريقه المحمدى حتى

أصبح طلحة واحدا ممن يعتز بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وواحدا من الدعاة الذين يعلمون الاسلام وفق تعاليم النبى عليه الصلاة والسلام ..

وكان طلحة فى ذلك كله مؤمنا سعيدا .. راضيا .. يحس أنه أصبح كثير الغنى .. موفور الجاه .. وكان همه كله أن يلازم النبى لا يتركه ويكون الى جواره يبشر بدعـــوته ويتعلم كل جديد من أمر دين الله .. يواجه به الطغاة .. ويرسم خطا فى طريق الحياة للانسان .

واذن النبى بالهجرة الى المدينة .. وطلب من طلحة ان يكون مع أفواج المهاجرين ينفق عليهم مما بقى من ثروته .. ويساعدهم فى متاعب الرحيل .. وانتظر المسلمون وفيهم طلحة وصول النبى من بعدهم الى المدينة .. وجاء رسول الله ... ومن يومها وطلحة لا يريد الابتعاد عن النبى صلى الله عليـــه وسلم .. وكأنه يريد تعويض أيام ما بين مكة والمدينة .. وأقسم من يومها ان لا يترك النبى .. وان لا يبرح مجلسه الا اذا كان فى مهمة يكلفه بها صلى الله عليه وسلم .. أو أمر آخر يتصل بحق الحياة والعمل ..

واشترك مع الرسول فى جميع الغزوات .. مرة واحدة أحس فيها طلحة بن عبيد الله بالألم والحزن يعصر قلبه .. فهو لم يشهد بدرا فقد كان مع أخ له فى الاسلام سعيد بن زيد فى مهمة نبوية ولما أخبرا النبى بألمهما من عدم اشتراكهما فى غزوة بدر قال لهما

عليه السلام مطمئنا .. ان لهما مثل الذين اشتركوا فيها من الأجر .

ومن أجل هذا حرص طلحة على الاشتراك فى أحد وعلى أن يكون فيما جاء من بعدها واحدا ممن يطلبون الموت طلبا لاضعفه فيه .. وبأصرار أذهل كل خصوم الاسلام ..

فيوم أحد .. والدنيا كلها تدور .. والمشركون يريدون رسول الله لينهوا من على الأرض هذه الدعوة الالهية .. كان طلحة من حول رسول الله يذود عنه بروحه .. ويقاتل دونه .. ويحدد موقعه فى المعركة الى جوار النبى كأنه درع له صلى الله عليه وسلم يأخذ الطعنات الموجهة اليه من أى جانب تأتى اليه ويصد السهام .. حتى أذهل كل المشتركين فى الموقعة من مسلمين ومشركين..وعندما انتهت المعركة تقول عائشة رضى الله عنهما عن أبى بكر الصديق : « كان أبو بكر اذا ذكر يوم أحد يقول ذلك كله كان يوم طلحة. كنت أول من جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لى الرسول ولأبى عبيدة ابن الجراح دونكم أخاكم ونظرنا فاذا طلحة بين يديه صريع واذا به بضع وسبعون طعنة وضربة ورمية .. واذا بأصبعه مقطوعة فاصلحنا من شأنه » .

ويوم حنين كانت صرخة طلحة فى المعركة تخلع القلوب وتبعث الرعب الى نفوس الاعداء حتى ليقول النبى صلى الله عليه وسلم « انها فى الجيش خير من مائة رجل » .. ويومها .. يوم حنين

خرج اليه من الصفوف عشرون مبارزا من أقوى الأعداء صرعهم جميعا طلحة بن عبيد الله وهو يعلى بصوته مهللا .. الله أكبر .

وهكذا كان طلحة أيام النبى ..

وهكذا .. بايمانه واصراره ونبذه الدنيا لترتفع رايات لا اله الا الله محمد رسول الله .. وحتى تعلو كلمة الحق .. وتسود المسواة .. وينتشر السلام قرأ رسول الله عليه وسلم لأصحابه يوما قوله تعالى « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليهم فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا .. » ثم قال عليه الصلاة والسلام وهو يشير الى طلحة .. « من سره أن ينظر الى رجل يمشى على الأرض وقد قضى نحبــه فلينظر الى طلحة .. »

ومن أجل هذا تحددت معالم طريق طلحة من بعد الرسول يعلم الناس دينهم .. ويشترك مع المحاربين فى سبيل الله .. ويصحح بعض المواقع وفق اجتهاده فيما يعلمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وبالتالى تغيرت نظرة طلحة للدنيا وما لها ولم يعد عنده المال وسيلة الملذات ومتع الحياة وانما دعامة يثبت بهــا المجتمع المسلم .. ليس له عليه الا حق الخليفة فقط فهو مال الله .. وهو للناس جميعا بحق الله .. حتى ان زوجته تحدث التاريخ فتقول « دخلت على طلحة يوما فرأيته مهموما فسألته ما شــأنه فقال . المال الذى عندى قد كثر حتى أهمنى وأكربنى فقلت له

وما عليك اقسمه .. فقام ودعا الناس وأخذ يقسمه حتى ما بقى منه درهم » .

ومرة أخرى .

باع طلحة أرضا بثمن مجز وجاءه الثمن فكان كومة كبيرة من المال . فنظر اليها وبكى طويلا ثم قال لمن حوله « ان رجلا يثبت هذه الأموال فى بيته لا يدرى ما يطرق من أمر لمغرور بالله .. » ودعا بعض نفر ممن حوله فحملوا أمواله ومضى فى شوارع المدينة يوزع هذه الأموال حتى لم يبق منها شيئا ..

وكان أيضا الى جوار عمر حتى أنه رضى الله عنه اختاره واحدا من الستة الذين يختار منهم أمير المؤمنين من بعده وان حذر من اختياره فى عبارة صارمة لطلحة حتى لا يتعالى على الناس .. وحتى لا يقال انه كان للمسلمين رجلان أميران فى وقت متقارب من بيت واحد يقصد أبا بكر قريب طلحة فكلاهما من تيم ..

وكان طلحة عونا لعثمان وان اختلف معه فى كثير من المواقف من أجل الدين ومفهوم الاسلام الذى يتحدث به بعض حاشية عثمان رضى الله عنه ..

ولحب طلحة لعثمان .. فرض عليه موقفا معينا من على ابن أبى طالب ولم يظن طلحة يوما .. ان هذا الموقف سينتهى به الى أن يقف مقاتلا لابن عم النبى .. وأخ له فى الاسلام من الخطوات الأولى .. وانما كان يظن انه يرد غيبة عثمان الذى لم يقف معه

دائما فى كل المواقف ولم يصد عنه المعتدين كما ينبغى واله بموقفه من على انما يأخذ بدم عثمان .. حتى كان يقول لمن حوله قبل أن يشتبك فى معركة حربيــة مع الامام على « اللهم خذ منى لعثمان اليوم حتى ترضى .. »

وبايمان طلحة بالحق وبايمانه بكل ما جاء به النبى صلى الله عليــه وسلم وقف يتحــاور مع على بن أبى طالب وبجانبــه الزبير بن العوام قبــل موقعة الجمل .. وبناء على دعوة أمير المؤمنين على بن أبى طالب فقال لهما الامام « يا طلحة اجئت بعرس رسول الله تقاتل بها وخبأت عرسك .. فى البيت .. »

وقال للزبير .. « يا زبير نشدتك الله تذكر يوم مر بك رسول الله صلى الله عليه وســلم ونحن بمكان كذا فقال لك يا زبير الا تحب عليا . فقلت الا احب ابن خالى وابن عمى ومن هو على دينى . فقال لك يا زبير اما والله لتقاتلنه وانت له ظالم .. »

فقال الزبير « نعم اذكر ذلك . ووالله لا اقاتلك .. »

ونظر طلحة فوجد فى صفوف على عمار بن ياسر فبرز أمام عينيه قول النبى وهو يقول لعمار « تقتلك الفئة الباغية »

فانسحب الاثنان من المعركة ..

ولكن هذا لم يمنع نفاذ قضاء الله وقدره .. فقد تصــدى للاثنين فى وقت من ليل ونهار وبعيدا عن أعين على ورجاله من قتل طلحة والزبير معا..وعندما يعلم الامام بذلك بعد انجلاء المعركة

يشرف بنفسه على دفن الصاحبين ويودعهما بكلمات فيهما الوفاء لأخوة الاسلام وصحبة رسول الله وينهيها بدعائه « انى لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير وعثمان من الذين قال الله فيهم . . « ونزعنا ما فى صدورهم من غل أخوانا على سرر متقابلين » ثم نظر الى أصحابه وقال رضى الله عنه سمعت أذناى هاتان رسول الله عليه وسلم يقول « طلحة والزبير جاراى فى الجنة .. » .

ورضى الله عن طلحة بن عبيد الله .. جار سيدنا رسول الله فى الجنة . .

سيف الله
خالد بن الوليد

.. ويدخل خالد الاسلام ويقول عن اسلامه :

لما أراد الله بى من الخير ما أراد ، قذف فى قلبى حب الاسلام وحضرنى رشدى وقلت : قد تبت فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحديبية خرجت فى خيل المشركين فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه بعسفان ، فقمت وراءه وتعرضت له ، فصلى بأصحابه الظهر اماما ، فهممنا أن نغير عليه ثم لم يعزم لنا . وكان فيه خيرة فأطلع على ما فى أنفسنا من الهجوم عليه ـ فصلى بأصحابه العصر صلاة الخوف فوقع ذلك منى موقعا وقلت : الرجل ممنوع وافترقنا وعدل على سنن خيلنا فأخذ ذات اليمين ، فلما صالح قريشا بالحديبية ودافعته قريش بالراح قلت فى نفسى أى شىء بقى ؟ أين المذهب ؟ أالى النجاشى ؟ فقد اتبع محمدا وأصحابه آمنون عنده فأخرج الى هرقل ؟ فأخرج من دينى الى نصرانية أو يهودية ؟ فأقيم فى عجم أو أقيم فى دارى فيمن بقى ؟

ويستطرد ابن الوليد فيقول : وبينما أنا كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمرة القضاء ، وتغيبت فلم أشهد دخوله ، وكان أخى الوليد قد دخل مع النبى صلى الله عليه وسلم فى تلك العمرة فطلبنى فلم يجدنى ، فكتب الى كتابا فاذا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فاننى لم أر أعجب من ذهاب رأيك وعقلك عن الاسلام وهل مثل الاسلام يجهله أحد ؟ وقد سألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أين خالد ؟

فقلت يأتى الله به . فقال . ما مثل خالد يجهل الاسلام ؟ ولو كان جعل نكايته وحده مع المسلمين على المشركين لكان خيرا له . ولقد مناه على غيره . فاستدرك يا أخى ما فاتك منه . فقد فاتتك مواطن صالحة » ـ فلما جاءنى كتابه نشطت للخروج وزادنى رغبة فى الاسلام وسرتنى مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت فى النوم كأنى فى بلاد ضيقة جدبة فخرجت الى بلد أخضر واسع . فقلت أن هذه الرؤيا حق . فلما قدمت المدينة قلت لأذكرنها لأبى بكر ، فذكرتها فقال هو مخرجك الذى هداك اليه الاسلام والضيق الذى كنت فيه الشرك فلما أجمعت الخروج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت من أصاحب الى محمد ؟ فلقيت صفوان بن أمية فقلت : أما ترى يا أبا وهب ! .. أما ترى ما نحن فيه ؟ انما نحن آكلة رأس وقد ظهر محمد على العرب والعجم . فلو قدمنا عليه فأتبعناه ؟ فان شرف محمد شرف لنا فأبى على أشد الاباء ، وقال : لو لم يبق غيرى من قريش ما تبعته أبدا .. فافترقنا ، وقلت : هذا رجل موتور يطلب وترا . قتل أخوه وأبوه ببدر .

ولقيت عكرمة بن أبى جهل وقلت له مثل ما قلت لصفوان، فقال لى مثل ما قال صفوان فقلت فاطو ما ذكرت لك .. وخرجت الى منزلى فأمرت براحلتى تخرج الى أن القى عثمان بن أبى طلحة وهو صديق لى أذكر له ما أريد ، ثم تذكرت من قتل من أبائه فكرهت أن أذكره ثم قلت وما على وأنا راحل من ساعتى،

فذكرت له ما صار الأمر عليه ، وقلت انما نحن بمنزلة ثعلب فى جحر لو صب عليه ذنوب من ماء خرج ـ وقلت له نحوا مما قلته لصاحبيه ، فأسرع الاجابة .. وأدلجنا بسحر ، فلم يطلع الفجر حتى التقينا بيأجج على ثمانية أميال من مكة فغدونا حتى انتهينا الى الهدة ، فوجدنا عمرو بن العاص بها فقال : ما أخرجك ؟ قال: فما الذى آخرجكما ؟ قلنا الدخول فى الاسلام واتباع محمد . قال : وذاك الذى أقدمنى .. فأصطحبنا جميعا حتى قدمنا المدينة فانخنا بظاهر الحرة ركائبنا ، وأخبر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر بنا فلبست من صالح ثيابى ، ثم عمدت الى رسول الله صلى الله وسلم فلقينى أخى ، فقال : أسرع فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بمقدمك فسر بقدومك وهو ينتظركم .. فأسرعت المشى فطلعت فما زال يبتسم الى حتى وقفت عليه ، فسلمت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طلق ، فقلت : أنى أشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ، فقال : الحمد لله الذى هداك قد كنت آرى لك عقلا ورجوت ان لا يسلمك الا لخير ..

ومن بعدها .. وخالد لا يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد لازمه وصاحبه وكان يريد أن يعوض الأيام التى مضت من غير مصاحبة واتباع رسول الله ـ ويريد ايضا أن ـ يكفر عن المواقف التى اتخذها ضد الاسلام وبنى الاسلام عليه الصلاة والسلام .. وكان فى جميع المواقف طوع أمر النبى يسأله الرأى

ويسأله ما خفى عليه من أمر العقيدة ، ويكون رجله فى جميع الشدائد والملمات ..

واستمرت صحبة خالد لرسول الله ثلاث سنوات عهد اليه النبى بكثير من المهام منها غزوة مؤتة وحنين وسرية بنى خزيمة .

ويرضى عليه الرسول العظيم . وينتقل الى الرفيق الأعلى وقد قال عن خالد انه سيف من سيوف الله . .

وأحس خالد ان مسئوليته نحو دين الله تضاعفت وزادت بعد انتقال رسول الله . ان عليه أن يضع كل خبراته وكل عبقريته فى خدمة الاسلام والذود عنه .. ومن أجل هذا كان له دور رائع فى حروب الرده . بل انه أحس بمسئولية أعظم وأبو بكر يقلده امارة أحد الألوية ، ويقول له كأنه يوقظ كل ذرة فى كيانه ، بل كأنه يحمله أمانة ومسئولية عظمى .. سمعت رسول الله يقول (نعم عبد الله . وأخو العشيرة خالد بن الوليد . سيف من سيوف الله . سله الله على الكفار والمنافقين) .

وينطلق خالد يدك الأرض تحت أقدام المرتدين ، ويدفع الرعب الى قلوبهم ويحيى موات — ضمائرهم فيقضى على مسيلمة وأنصاره من بنى حنيفة وغيرهم من ألوف الأعراب الذين زاغت قلوبهم فارتدوا عن دين الله .

ولم تنته مهمة خالد .

ولم ينته دوره فى حياة المجتمع الاسلامى وتاريخ الدعـوة المحمدية بالقضاء على المرتدين اذ كان هناك دور آخر رائع ينتظره فما كاد يستريح بالمدينة حتى كانت هناك تعليمات فى انتظاره من أجل نشر الاسلام ورفع راية لا اله الا الله والقضاء على الظـلم وانتصار الحق ..

وكان لابد لتحقيق هذا كله من نهاية عادلة لدولتى الفرس والروم وتحرك الجيش الاسلامى بقيادة البطل المسلم خالد بن الوليد ، فدك دولة فارس ، ووصل الى مشارف العراق ، وعسكر الجيش الاسلامى لتذهب رسائل من خالد الى جميع ولاة كسرى ونوابه على ألوية العراق ومدائنه تقول فى صيغة موحدة :

بسم الله الرحمن الرحيم

« من خالد بن الوليد ، الى مرزانة فارس

سلام على من اتبع الهدى . أما بعد : فالحمد لله الذى فض خدمكم . وسلب ملككم ، ووهن كيدكم . من صلى صلاتنـا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا ، فذلكم المسلم له مالنا وعليه ماعلينا فاذا جاءكم كتابى فابعثوا الى بالرهن واعتقـدوا منى الذمة ، والا فوالذى لا اله غيره لأبعثن اليكم قوما يحبون الموت كمـا تحبون الحياة » .

وصدق القائد المسلم وعده ..

ورأى الفرس جند الاسلام اتباع محمد ، يحطمون الحصون

ويفتحون البلاد ، وتدوى الدنيا كلها بنداء الله أكبر يرفعونها فوق كل نداء وكل هتاف ..

وفتح الله عليهم العراق .

وبدأت قوات الأمة المحمدية تستعد لجولات أخرى ، وخالد معهم يفكر فى عون الله وهدايته ليضع مخططا جديدا .

واذا بأمر يأتى من المدينة يقول فيه أبو بكر لخالد أن يلحق مع بعض قواته الى الشام ويتولى امارة جيوشه التى بعث بها لفتح بلاد الروم وعليها قواد لهم الباع الطويل . أبو عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص ، ويزيد بن أبى سفيان ، ومعاوية بن أبى سفيان أيضا ..

ولم يتردد خالد لحظة ..

فليس له أن يختار موقع النضال والعمل ..

فان الذى يحدده الخليفة وحده ، وعليه الطاعة ، والتغلب على النفس حتى ولو كان سيدق بيده باب المجد الذى سيذكره له التاريخ عبر الدنيا بعد لحظات .

ووصل خالد مع بعض قواته الى الشام فى صورة أسطورية يحتار فيها قواد الجيوش الى الآن ، ولم يضيع الوقت بل سارع بتنظيم الجيش الاسلامى كله ..

ونظر خالد الى الجانب الآخر فوجد جيشا لم يشهد العرب مثله ويزيد عن جيش المسلمين عشرات المرات عدة وعددا . ومنهم

الراكب ومنهـم من يقف وراء المنجنيق ، وجميعهم يلبسـون الدروع ..

ــ وهم ــ العرب ــ لا سلاح لهم مع معداتهم البسيطة غير الايمان والرغبة الملحة فى الاستشهاد ولقاء الاحبة الذين سبقوهم الى جنة رضوان ..

ومع هذا فلم يفت ذلك فى عضد القائد البطل .. فهو يعلم مع من يقاتل ، وبمن يقاتل ومن أجل ذلك وقف فى المقاتلين خطيبا قبل بدء القتال ، فقال بعد أن حمد الله واثنى عليه .

ان هذا يوم من أيام الله ، لا ينبغى فيه الفخر ولا البغى . اخلصوا جهادكم ، واريدوا الله بعملكم وتعالوا نتعاور الامارة ــ نتبادلها ــ فيكون أحدنا اليوم أميرا والآخر غدا ــ والآخر بعد غد حتى يتأمر كلكم . .

وبذلك أرضى الجميع ، ليدخل الكل المعركة وليس له غير النصر أو الاستشهاد ..

ثم تدارك ليحذر من الذين دخلوا الاسلام حديثا ، والذين جاءوا بعد ردة ليجاهدوا مع المسلمين ، فقال أمرا يلتزم به الجميع : « من يولى هاربا فاقتلوه » أمر يتفق عليه القادة جميعا ..

وبدأت المعركة .

وطلب قائد الروم قبـل لحظة الالتحام ان يبرز اليه خالد ليكلمه لحظة ..

وجاء « هامان » وخاطب خالدا قائلا : لقـد علمنا انه لم يخرجكم من بلادكم الا الجهد والجوع فان شئتم أعطيت كل واحد منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاما وترجعون الى بلادكم وفى العام القادم أبعث اليكم بمثلها .

فرد عليه خالد فى عزم وقوة وايمان : « انه لم يخرجنا من بلادنا الجوع كما ذكرت ولكننا قوم نشرب الدماء وقد علمنا انه لا دم أشهى ولا أطيب من دماء الروم ، فجئنا لذلك .. »

ولوى عنان جواده . وأطلق صيحة البدء فى القتال « الله أكبر .. هبى رياح النصر » .

ودارت معركة تبهر العقول .

وبدأت معالم النصر ..

وتطايرت جثث الروم .. وصعق قائدهم ويقال له جرجـة فاندفع فى لحظات راحة بين القتلى صارخا باسم خالد فبرز اليه ، ودار بينهما حديث غريب اذ يقول له : « يا خالد . أصدقنى ولا تكذبى فان الحر لا يكذب . هل أنزل الله على نبيكم سـيفا من السماء فأعطاك أياه فلا تسله على أحد الا هزمته ؟ » ..

فقال خالد .. لا ! .. فيقول جرجة ، « فبم سميت سيف الله ؟ فيقول خالد .. ان الله بعث فينا رسوله فمنا من صدقه ومنا من كذبه . وكنت فيمن كذبه حتى أخذ الله قلوبنا الى الاسلام وهدانا

برسوله فبايعناه ، فدعا لى الرسول بالنصر وقال لى .. أنت سيف من سيوف الله فهكذا سميت . سيف الله .

فيقول جرجة : وعلام تدعون ؟

فيقول خالد « الى توحيد الله والى الاسلام » ..

فيقول : هل لمن يدخل فى الاسلام اليوم مثل مالكم من المثوبة

فيقول خالد : « نعم وأفضل » ..

فيسأل : « كيف وقد سبقتموه ؟ »

فيقول : لقد عشنا مع رسول الله ورأينا آياته ومعجزاته ، وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا ان يسلم فى يسر . أما انتم يا من لم تروه ولم تسمعوه ثم امنتم بالغيب فان أجركم أجزل وأكبر اذا صدقتم الله سرائركم ونواياكم .

فيطلب القائد الرومانى من خالد أن يعلمه الاسلام ويعلمه كيف يصلى ركعتين .. ويسلم ويتوضأ ويصلى ركعتين .. ويقاتل فى صفوف المسلمين حتى ينال الشهادة ..

وبينما المعركة مع الروم مستمرة تحت قياة خالد . اذا بخطاب يصل من المدينة مع رسول خاص يطلب من خالد وسط المقاتلين أن يفض الخطاب فورا فهو من أمير المؤمنين ..

ويقرأ خالد .. فيجد أمرين كلاهما عجب .. الأول بنعى أبا بكر والثانى بأن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يعزله من القيادة ويولى بدلا منه أبو عبيدة الجراح ..

ولم يثر خالد ، البطل المسلم ، وقد تعلم من الاسلام ان مكانه ليس محدودا ولا محددا .. وانما دوره ان يكون حيث يريده الله له وحيث يختار أميره ،وان عمله الرئيسي هو الدعوة الى الاسلام وحين تهتز نفسه يسمع صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعماق قلبه « انى أبعثك داعيا مقاتلا .. »

ويخفى الأمر حتى تنتهى المعركة فيعلن خبر الرسالتين ويعمل كواحد من عامة المسلمين ويستمر فى النضال والقتال ..

ولم يهزه لحظة قرار عزله أو موقفه من المعركة .. فقد كان سعيدا وهو يقاتل .. وكان بطلا وهو يناضل ، وكان قائد بطبيعته تفرضه المعركة وكل معركة على القواد .. وهو يرفع راية الاسلام وكلمة التوحيد .

ثم آن للجسد أن يستريح ..

ويقول بدموعه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة : لقد شهدت جميع المواقع وما فى جسدى موضع الا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح أو رمية سهم .. ثم ها أنذا أموت على فراشى حتف أنفى كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء ..

ويصل الخبر الى عمر .. فيبكى بكاءا شديدا ويقول عجزت النساء أن يلدن مثل خالد ..

رحم الله أبا سليمان ، فقد عاش وحيدا .. ومات سعيدا ..

ابن الشهيدين

عمّار بن ياسر

اذا كان بلال رضى الله عنه قد رأى من العذاب ألوانا وأنواعا حتى أصبح نموذجا وحده فى الاحتمال وايثار العقيدة فان الذى لقيه أخوه فى الاسلام عمار بن ياسر نوعا آخر سيظل يرسم بأحرف من نور القدرة الخارقة فى الاحتمال البشرى لأصحاب العقائد .. ونموذجا فريدا من المناضلين المؤمنين الأول .. الذين باعوا أنفسهم الى الله ليرفعوا راية لا اله الا الله محمدا رسول الله .. وليكون صورة مشرقة لكل مؤمن عبر التاريخ وحتى تقوم الساعة .

وعمار بن ياسر هو ابن الشهيدين ياسر وسمية وأحد الذين كان يفتقدهم رسول الله فى شوق كلما غابوا ويذود عنه كلما رأى مغاضبا له حتى قال عليه الصلاة والسلام ـ من عادى عمارا فقد أبغضه الله ـ و .. « اهتدوا بهدى عمار » ..

ووراء هذه المنزلة فى نفس نبى الرحمة قصة طويلة تأثر بها ـ تاريخ عمار فقد أحب الحق وسعى اليه .. وأحب الطريق السوى وآمن بالخير وحب العدل وبغض الظلم والطغاة .. وعلمه أبواه ياسر وسمية من قبل اسلامه ألا يعبد الأصنام والا يقدم لآلهة مكة القرابين وأن يبحث معهما عمن خلق السماء والأرض حتى جاءت الدعوة المحمدية فكان أول آل ياسر اسلاما .. وذهب الى والديه يدعوهما الى الاسلام ووجدا فى الدين الجديد ما كان ينتظران .. ومن أجل هذا صغر أمامهما حقيقة الوضع الذى يعيشونه فى مكة

وفى أنهم ــ الثلاثة ــ غرباء فيها .. وما يلقاه أصحاب محمد من العذاب والتنكيل .. كل هذا هان فى نظرهم .. ودخلوا فى الاسلام حبا وايمانا .

ومن يومها بدأ نضال هذه الأسرة الرائعة من أجل دين الله ورفع لواء الاسلام .. بالاحتمال .. والاصرار والتضحية ..

وبدأ مع الثلاثة أيضا أبشع قصة تعذيب عرفها التاريخ الى الآن أو سيعرفها التاريخ يوما ما .. فقد وضع الثلاثة فى مكان واحد وصب عليهم أياما وليالى كل أنواع التعذيب من السحل والضرب والكى بالنار وتمزيق الجسد بالسيوف وسمل العيون والقذف بالماء المغلى حتى يخرجوا عن دين الله ويسبوا محمـــدا ودينه ورب العزة .. ولكنهم يرفضون ولا يقبلون لدينهم الضعة ولا المهانة وانما يذكرون فى كل ذلك دينهم فى جلال وقداسة .

ويشاهد عمار من وراء سحب العذاب أمـــه وهى تكوى بالنار ويستمع الى صراخها الذى يدمى قلبه ويستمر فى ثباته وايمانه .. ثم يسمع شهقة أمه الجريحة وهى تنهى آخر أيامها بالدنيا وتصعد روحها بارئة الى الله .. فيحبس دموعه .. وتكون سمية أول شهيدة فى الاسلام .. ولكن عذاب عمار لا ينتهى فما هى الا دقائق .. حتى يلحق أبوه بأمه ليكون هو الآخر أول شهيد فى الاسلام .

ويتعذب عمار ولا يضعف .. ولا يحقق للمعتدين رجاءهم فى أن يخرج عن دين الله .. بل ان مشـــاهدى عذابه من الكفار

يثورون على معذبيه ليفك اساره حتى يتقبل العزاء فى والديه ..
ويحمل الى داره ومعه جثة والديه .. واشترك فى ذلك خصوم دينه
مع رفاقه من المسلمين أمام العذاب الذى شاهدوه .. ويقـوم
المسلمون ومنهم عثمان بن عفان بكل ما يتطلب من عمار فى مثل
هذه المناسبة .. ويبقى عمار ولا يعزيه عن جروحه غير ايمانه
العميق وبشرى النبى له ولاهله .. ومع ذلك فلا يملك لاحزان
قلبه على والديه عزاء .. حتى ليذكره أصحابه بوعد النبى لهما
وله ويقول له عثمان بن عفان ان رسول الله وعدك بما وعدهما
به ــ فيقول عمار ــ « هيهات أبا عمر ولو مت معهما لكنت
خليقا أن أرضى ولكنهما ذهبا وبقيت . وفى الحياة فتنة وفى
النفس ضعف وانه ليحزننى أن فاتنى بهمـا الموت فأصبحت
معرضا لما يتعرض الناس له من الاثم الذى يحبط العمل ومن
السيئات التى تمحو الحسنات » .

ولا يزال أصحاب رسول الله يعزونه ويعاونونه على حيـاته
حتى يعود الى عمله ولقاء صحبه والاجتماع برسول الله .

ولا يتركه المشركون ..

بل يعودون الى تعذيبه وايلامه .. وتستمر أيام العذاب
رهيبة .. حتى ليقول عمرو بن الحكم « كان عمار يعذب حتى
لا يدرى ما يقول » ويقول عمرو بن ميمون « أحرق المشركون
عمار بن ياسر بالنار فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر به
ويمر يده على رأسه ويقول يانار كونى بردا وسلاما على عمار
كما كنت بردا وسلاما على ابراهيم » .

وكانوا مع ذلك يتركونه أياما آخرى حتى يقوى على مرحلة أخرى من العذاب .. وهو لا يحيد عن موقفه .. بل يصمد .. ويزداد ايمانا . .

وخلال فترة التعذيب والعودة اليه كانت الجراح تقعد عمارا داره فيأتيه أصحابه .. ولا يتركونه الا ليعبد الله وفى مكان من بيته اتخذه مسجدا حتى نزل فيه قرآنا كريما يقول تعالى « امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الألباب » .

ويأذن رسول الله لبعض أصحابه بالهجرة الى الحبشة ويطلب من عمار أن يكون معهم .. فيهاجر عمار ولكنه لا يطيق البعاد عن رسول الله ويجد أن عذاب الاغتراب أقسى من عذاب السياط والنار فيعود مرة أخرى الى مكة ولكنه لا يبقى طويلا اذ يأذن الرسول بالهجرة الى المدينة .. فيسبقه عمار اليها مع من سبق .. ويلتقى بالنبى فى المدينة ويشترك مع المسلمين الأول فى بناء أول مسجد ويحضر مع الرسول جميع المعارك والمواقع رغم كبر السن ورغم عذاب الجسد ومعاناته واحتمالاته ومع هذا فقد كان من أول المناضلين المجاهدين وأكثرهم تقتيلا للمشركين وأكثرهم شجاعة .

وظل عمار قريبا من رسول الله يفتقده اذا غاب .. ويسأل عنه دائما .. واذا ما سمع صوته قادما الى منزله يقول عليه السلام

« مرحبا بالطيب المطيب ائذنوا له » . وكان رسول الله يغضب لغضب عمار فقد أغضبه يوما بعض الصحابة فقال صلى الله عليه وسلم « مالهم ولعمار يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار ان عمارا جلدة ما بين عينى وأنفى » .

وذات يوم سقط جدار كان عمار يعمل تحته فظن البعض أنه مات فذهبوا الى رسول الله ينعونه فقال لهم « مامات عمار .. تقتل عمار الفئة الباغية » .

ويقف عمار حيث أراد له الله ورسوله فى جانب الحق وكم يقول حذيفة بن النعمان لمن التف حوله من أصحابه لحظة نهاية عمره ردا على سؤالهم « بم تأمرنا اذا اختلف الناس » فيقول لهم « عليكم بابن سمية فانه لن يفارق الحق حتى يموت » .

ولانه لم يفارق الحق فانه لم يطلب ثمنا لنضاله ولا مواقفه من الاسلام . لم يطلب مالا ولم يتخذ من اسمه وحب رسول الله له من بعده أسبابا يرتقى بها المناصب ويتعامل فى المتاجرات حتى يكون ثروات طائلة أو يتخذ لنفسه مكانا من المسجد فيصير اماما يهز الخلفاء وتكون له جماعة تهز الدنيا من حوله .

ان عمارا اتخذ الحق صديقا ورفيقا والتزم جانبه ولم يحد عنه لأن فى ذلك تعاليم رسول الله .. فوقف الى جانب أبى بكر فى معارك الردة رغم الأحزان والعمر الذى يجرى حتى ليقول عبد الله بن عمر « رأيت عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة

وقد أشرف يصيح يامعشر المسلمين أمن الجنة تفرون ؟ أنا عمار بن ياسر هلموا الى فنظرت اليه فاذا أذنه مقطوعة تتأرجح وهو يقاتل أشد قتال .

واشترك بعد ذلك فى معارك الفرس والروم أيام الخليفتين الأولين .. أبى بكر وعمر .. ومرة واحدة تحول موقع نضال عمار من ساحات القتال الى تربية الرجال .. يوم أن ألح عليه عمر أن يتولى أمرة الناس فى الكوفة ليعلم الداخلين الى الاسلام دينهم الحق فهو أكثر الناس من حول عمر قدرة على هذا . . ويرسل عمر خطابا الى أهل الكوفة يقول فيه :

« انى بعثت اليكم عمار بن ياسر أميرا وابن مسعود معلما ووزيرا وانهما لمن النجباء من أصحاب محمد ومن أهل بدر . »

وذات يوم أراد أحد العامة أن يختبره فيغيظه وهو أمين عليهم فقال له معيرا « يا أجدع الأذن » فيرد عليه « خير أذنى سببت فقد أصيبت فى سبيل الله » .

ويقتل عمر .. ليأتى عثمان .. فيجد عمارا أن مجاله لم يعد تولى المناصب وانما النضال من أجل الصورة المشرقة للحكم الاسلامى فخاصم عثمان على حاشيته وسياسته الجديدة وظل الخلاف حتى تولى أمرة المسلمين على ابن أبى طالب ومن يومها لم يتركه عمار .. كان الى جانبه بالرأى والمشورة والسيف .

حتى كان موقعة صفين بين على ومعاوية وقد بلغ عمار من العمر الثالثة والتسعين ووقف يخطب النـــاس فى ساحة المعركة « أيا الناس ـــ سيروا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم يثأرون لعثمان ووالله ما قصدهم الأخذ بثأره ولكنهم ذاقوا الدنيا واستمرأوها وعلموا أن الحق يحول بينهم وبين ما يتمرغون فى شهواتهم ودنياهم وما كان لهؤلاء سابقة فى الاسلام يستحقون بها طاعة المسلمين لهم ولا الولاية عليهم ولا عرفت قلوبهم من خشية الله ما يحمـــلهم على اتباع الحق .. « وانهم ليخادعون الناس بزعمهم أنهم يثأرون لدم عثمان . وما يريدون الا أن يكونوا جبابرة وملوكا » .

ثم يرفع عمار راية فوق رأسه ويصرخ بأعلى صوته فى الناس قائلا (والذى نفس محمد بيده ، لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وها أنذا أقاتل بها اليوم) .

. وينطلق بعد ذلك عمار فى القتال ذودا عن على لأنه فى جانب الحق وهنا يقول أبو عبد الرحمن السلمى « شهدنا مع على رضى الله عنه صفين فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ فى ناحية من نواحيها و لاواد من أوديتها الا رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يتبعونه كأنه علم لهم .. وعندما غربت الشمس ذلك اليوم وكان صائما قال : اسقونى فجىء له بشربة من لبن يفطر عليها فلما رآها ابتسم .. ثم أغرق فى الضحك ثم قال « قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر زادك من الدنيا لبن حتى

تموت وأخذ يقاتل جنود معاوية وهو يردد قوله الجنة تحت أطراف العوالى . الظمآن يرد الماء . الماء مورود . اليوم ألقى الأحبة محمدا وصحبه » .

وتنجلى المعركة فى صفين بعد أن تقتل الفئة الباغية عمارا بن ياسر .. ليحتضنه ابن عم النبى أمير المؤمنين على ابن أبى طالب الى صدره والدم يبلله . ويكفنه فى ثوبه . ويصلى عليه ومعه حشد كبير من المسلمين ثم يقف عليه قائلا « رحم الله عمارا يوم أسلم ورحم الله عمارا يوم قتل ورحم الله عمارا يوم يبعث حيا . لقد رأيت عمارا وما يذكر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة الا كان رابعا ولا خمسة الا كان خامسا وما كان أحد من قدماء أصحاب رسول الله يشك أن عمارا قد وجبت له الجنة فهنيئا لعمار بالجنة » ..

ومات عمار فى عامه الثالث والتسعين بعد نضال يعز على الدنيا أن ترى نظيره مات رضى الله عنه وهو يقاتل فى ساحة القتال من أجل الحق ليتحقق فيه القول الخالد « ان عمارا مع الحق والحق معه يدور . عمار مع الحق أينما دار وقاتل عمار فى النار » .

صهيب بن سنان

إمام الأيام الثلاثة

واحد من أئمة الاعلام ..

شده الى أرض الدعوة نبوءة استمع اليها وعاش على مسارها انتظارا لها من غير تفكير فى العودة الى الأهل أو البعد عن مناطق العذاب ..

والتاريخ يروى لنا عن الصحابى الجليل صهيب كثيرا من المواقف والمعالم .. فقد عاش فى بيت امارة .. اذ كان أبوه واحدا من الولاة العرب الذين يعملون مع الفرس وتولى حكم الابلة .. الا انه لم يستقر فى كنف والديه طويلا فقد تعرضت ولاية والده لهجوم من العرب والروم وفى غيبة من الرجال فأسر مع من أسر من الصبية والنساء .. وبيع فى أرض الروم وبدأ حياة العبودية حين وصل الى الحجاز اذ اشتراه بعض الأعراب من بنى كلب وظلت الأيادى منهم تتناقله حتى انتهى به الأمر عبـــدا فى مكة لعبد الله بن جدعان .. وما كاد صهيب يرى مكة حتى تراءت امام بصره النبوءة التى حدثه بها الراهب الرومى الذى قال له « انك ستعيش فى ظل حرم وتموت وتدفن بالحجاز وستلتقى بداعيـــة يعلم الناس رسالة السماء فزاد تعلق صهيب بمكة تشـــوقا الى تحقيق بقية الرؤية ..

ومع عبد الله بن جدعان عاش صهيب حياة كلها رجولة وجد وأمانة وصدق فى القول والمعاملة كمـــا لو كان يريد ان ينتظر

الدعوة والداعى الذى يعيش فى اعماقه وآماله فى رجولة الرجال وخلق الابطال .

وسافر مع تجارة لعبد الله بن جدعان الى اليمن وبلاد الحبشة وحقق له مكاسب طائلة .. تحدث عنها رجال العرب فى كل مكان .. وسافر أيضا الى بلاد الروم حيث يعرف مساريها ولم يفكر فى البقاء فيها أو الهرب من الرجل الذى يستعبده .. بل كان فى جميع رحلاته يتعجل العودة الى مكة .. خوفا من تحقيق النبوءة وهو بعيد .

ومرت الأيام . وكبرت مكانة صهيب .. وأحس عبد الله بن جدعان انه مدين لهذا الحر العبد فى وقت واحد .. وان صهيبا ما خلق للعبودية وانما ليكون حرا مثله وعلى قدم المساواة معه .. شريكا : وصديقا وخاصة بعد أن حمل كل أسراره وصانها وبعد أن أدار كل ثروته فنماها .. ولذا لم يكن غريبا على مجتمع مكة أن يشهد المسجد الحرام ذات يوم عبد الله بن جدعان وهو يعلن للقوم أن صهيبا بن سنان حرا .. وأنه شريك له فى تجارته ..

ومات عبد الله بن جدعان ..

واستقل صهيب بحياته .

وأصبح واحدا من أغنياء مكة واشهر تجارها .. المشتركين فى ندواتها والمشهورين باطعام الضيف ومعاونه كل محتاج ومساندة كل مظلوم ..

ولم يفكر صهيب بعد عبد الله بن جدعان فى ترك مكة فقد كان يربطه بها أمل كبير فى أن وقت الداعى قد حان ظهوره .. ومن أجل ذلك عاش أيامه قبل الدعوة وعينه وقلبه مع كل حديث جديد أو دعوة تظهر حتى كان ذات يوم .. وسمع عن شىء يدار فى دار الارقم بن أبى الارقم وان محمدا بن عبد الله يبشر برسالة من السماء يقــول فيها بالوحدانية والمساواة .. فهزه الخبر وتذكر ابن عبد الله هــذا العربى العظيم الذى رآه من قبــل فى حلف الفضول حيث أجمع القرشيون على أن ينصفوا المظلوم ويأخذوا على يد الظالم ويحقوا الحق ويؤكدوا العدل .. هــذا الأمين الصادق الطاهر الذى كان حديث كل مجتمع مكى وكل من أتى الى البلد الحرام ..

ووقر فى قلب صهيب أن واحدا هذه خصاله فهو صادق لا محالة .. وانه .. وهذا ما جعل قلبه يخفق بعنف .. قد يكون تصديقا للنبوءة التى الزمته مكة ..

ولم ينتظر صهيب ..

بل اتجه من فوره الى دار الارقم ..

وأمام الباب وجد صديق عمره ورفيق خطى حياته من بعد ذلك عمار بن ياسر الذى يحدثنا عن هذا الموقف فيقول (لقيت صهيب بن سنان على باب دار الأرقم ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقلت ماذا تريد فأجابنى وماذا تريد أنت قلت أريد أن أدخل على محمد فاسمع ما يقول . قال وأنا أريد ذلك . فدخلنا

على الرسول فعرض علينا الاسلام فأسلمنا ثم مكثنا يومنا على ذلك حتى أمسينا ثم خرجنا ونحن متخفيان) ..

ومن يومها ولم يتغيب صهيب يوما واحدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يريد أن يعرف المزيد من رسالة الله .. وكان يحب أن يكون ملازما للنبى صلى الله عليه وسلم خشية ايذاء كفار قريش للنبى وصحبه فيقوم بواجبه نحو بنى الاسلام .. وأحب النبى .. وأحبه النبى ورضى عنه .. حتى كان يسأل عنه اذا غاب .

ولاحظ المسلمون الأول ان شيئا ما كان يشغل بال صهيب دائما وما زالوا به حتى علموا ان الذى به رغبة عنيفة فى اعلان اسلامه والجهر به بين القوم .. فهو على الحق فلماذا يخشى المشركين .. ولم تنفع محاولاتهم فى اثنائه عن عزمه .

وأصبح أهل مكة ذات يوم وصوت صهيب يدوى باعلان اسلامه فى جنبات المدينة وفى ذلك يقول ابن عتيبة (ان أول من أظهر اسلامه سبعة منهم صهيب) .. وضاقت قريش وأصدقاؤها بهذا الصهيب وبدأت تمارس معه من ذلك اليوم الذى أعلن فيه اسلامه كل وسائل التعذيب وزادت فى تعذيبه عما كان يلقاه أصحابه الأمر الذى هز واحدا من قوادهم يومذاك وهو خالدبن الوليد فتحدث به الى بعض أهله وقال .. (اما أنا فقد رأيت من صهيب عجابا رأيت القوم يعذبونه بالنار وينوشونه بالرماح ويلهبون جسمه بالسياط وهو على ذلك يتحدث اليهم حديثا

لا يحفل بما كانوا ينالونه به من الأذى وربما اشتد عليه البأس فعقد لسانه عن القول برهة وأجرى على جبينه شيئا من العرق لا يلبث أن يثوب الى نفسه يعود الى التحدث الى معذبيه فى بعض أمورهم كأنهم لم ينالوه بمكروه .. وما يزالون به يعذبونه بالحديد والنار والسياط وما يزال بهم يعذبهم بهدوءه وثباته وتحدثهم اليهم فى أيسر أمـــورهم حتى اذا أملهم أو كاد ، ضاعفوا له العذاب وخرجوا فى ذلك عن أطوارهم فيسعى الى صهيب شيء من ذهول ليمضى فى حديثه ولكنه لا يقول للقوم غير الصواب ويعرف القوم انهم قد بلغوا منه بعض ما كانوا يريدون فيكفون عنه مكاويهم ورماحهم وسياطهم وأشهد لقد انصرفت عن هؤلاء القوم وانى لبعض أمرهم لكاره ..) فيتدخل الحارث ابن هشام ليوقف استرسال خالد بن الوليد فيقول له :

أسكت لا يسمعك ابن عمك فيصيبك منه بعض ما تكره .

وبقى صهيب على ايمانه صامدا .. واستمر على ولائه للدين الجديد وحبه للرسول العظيم .. وأصر على اسلامه والجهر به مهما كان العذاب والتعذيب .

ورفض مرة أخرى أن يترك مكة حتى ولو كان مع المهاجرين الأول الى الحبشة .. فقد دعاه ولاؤه وايمانه الى البقاء بجوار النبى .. فيكون دائما الى جواره بعد أن كان من قبل فى انتظاره .

واستمر الحال معه كما وصفه خالد بن الوليد طويلا .. وهو لا يهتز ولا يستمع الى اغراءات قريش ومن معها .. وانما يدعو الى الاسلام ويحارب الطغاة ..

ومضت السنوات ..

وأمر الرسول أصحابه بالهجرة الى المدينة .. وهنا لم تعد لصهيب حاجة فى مكة .. ولكنه استأذن الرسول فى أن يكون آخر المهاجرين لعله يكون ثالث ثلاثة رسول الله وأبو بكر وصهيب وذلك أمله الذى يؤرقه ويشده الى مصاحبة النبى المستمرة .. ولكن أنباء استعدادته لصحبة النبى وصلت خصوم الاسلام فى اللحظات الأخيرة فأوقعوا به ووضعوه فى سجن حالك ومارسوا معه كل أنواع التعذيب لعلهم يصلون منه على أخبار النبى .. ولم ينجحوا .. فقد كان وسط عذابه وآلامه مشغولا بفكرة الهرب مع القوم من الذين أخفوا حبهم للاسلام .. وتمكن بمعاونتهم من الهرب مع الليل .. وحمل جراحه وسارع الخطى فى اتجاه المدينة لعله يلحق بالنبى وصاحبه حيث علم برحيلهما .. وعلم الكفار بهرب صهيب فجنهم الغيظ وبدأوا مطاردة عنيفة له حتى لحقوا به وأحاطوا به .. ووجد نفسه وحيدا محاطا بكوكبة من فتيان قريش الأشداء يطلبونه ويعملون على الامساك به لاعادته الى السجن .. ولكنه ينذرهم ويقول (يا معشر قريش لقد علمتم انى من أرماكم رجلا وأيم الله لا تصلون الى حتى أرمى بكل سهم معى فى كنانتى ثم أضربكم بسيفى حتى لا يبقى منه شىء فأقدموا ان شئتم ..)

وتلقى فرسان قريش هذا التحذير فى حيرة .. فهم يعلمون صدق صهيب فى كل ما قال .. وقوة عزيمته .. واصراره وفروسيته فيترددون .. ويرى صهيب منهم ذلك .. فيسارع بمساوامتهم حتى

يتركوه وشأنه فيعرض عليهم أن يدلهم على أمواله التى تركها فى مكة فتكون لهم ويعودون ويتركونه وشأنه ..

ويقبلون ..

ويخبرهم بمخابىء أمواله ..

وينصرفون عنه ويسارع هو بالخطى فى طريق المدينة .

ويرى فى طريقه الارهاق المميت .. وتظهر عليه آثار السجن التى لم تترك جزءا من جسده بما فى ذلك عينيه .

ثم .. وصل المدينة .. واتجه الى مجلس النبى بعد أن سأل عنه .. وكان عليه الصلاة والسلام بين بعض من الأنصاروالمهاجرين وأمامه رطب يتناوله هو وأبو بكر وعمر فينكب عليه صهيب بعد القاء السلام من شدة الجوع .. ويتم صهيب طعامه ثم يتجه الى أبى بكر معاتبا لأنه وعده الصحبة ولم ينتظره .. فيسأله النبى فى رحمة وود عن رحلته .. ؟ ! وماذا فعل مع كفار قريش .. ؟ ! وكأنه وهو المعلم يريد أن يسمع كل من حوله جهاد واحد من المؤمنين الصادقين الأول فيقول صهيب .. « والله يارسول الله ما خلعت اليك حتى اشتريت نفسى من قريش بمالى ـ أجمع ـ ويسرد هروبه ولحوقهم به .. ومساومته لهم .. ثم يصف ما بعد ذلك .. وما تركت مكة الا بمد من دقيق عجنته وعشت عليه حتى انتهيت اليك » .

فيرد عليه الرسول فرحا به « ربح البيع أبا يحيى .. ربح البيع أبا يحيى .. »

وما ينتهى الرسول من قوله حتى ينزل فى صهيب قرآنا كريما « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله . والله رؤوف بالعباد » .

وفى المدينة .. يعاود صهيب مسيرته الأولى مع النبى .. لا يتركه .. يتعلم منه الدين .. ويجاهد تحت لوائه .. ويقاتل معه فى سبيل اعلاء كلمة الله .

ويصف هو حياته كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول « لم يشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا قط الا كنت حاضره ، ولم يبايع بيعة قط الا كنت حاضرها ولم يسر سرية قط الا كنت حاضرها ولا غزا غزوة قط أول الزمان وآخره الا كنت فيها عن يمينه أو شماله ، وما خاف المسلمون امامهم قط الا كنت أمامهم ولا خافوا ما وراءهم الا كنت وراءهم .. وما جعلت رسول الله بينى وبين العدو أبدا حتى لقى ربه .. »

ومن أجل ذلك يروى أصحاب الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله « السباق أربعة : أنا سابق العرب . وصهيب سابق الروم . وبلال سابق الحبشة . وسلمان سابق الفرس » .

وينتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهـو راضى عن صهيب . ويقف هذا الصحابى الجليل مع أبى بكر لا يقحم نفسه فى منازعات الخلافة .. وانما يفرض وجوده فى مواطن الجهاد التى تنشر الاسلام ، ومن غير أن ينسب حديثا الى الرسول العظيم

الذى آمن به ، وصدقه ، وعاش خير عمره الى جانبه .. وانما يحدث الناس بما تعلمه و .. « هلموا أحدثكم عن مغازينا .. أما أن أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا .. »

وبعد موت أبى بكر لم يتغير موقف صهيب .. بل ظل على الطريق المحمدى من غير تبديل فى عهد عمر .. وكل الذى كان يريده هو أن يجاهد فى سبيل الله .. وأن يعلم الناس دينهم .. كواحد منهم .. رافضا كل منصب وممتنعا عن كل رئاسة ..

والشيء الوحيد .. الذى زاد على صهيب أنه أكثر من العطاء فى سخاء غير منقطع النظير .. حتى سأله عمر فى ذلك فكان رده « ان هـكذا علمه رسول الله .. » .. « خياركم من يطعم الطعام .. »

وسارت الأيام ..

وفجأة طعن عمر ..

وبينما الخليفة الثانى مضرج بالدماء اذا بعينه تدور بحثا عن واحد من المسلمين .. فيسأله الذين حوله عمن يبحث .. فيقول لهم .. « ائتونى بصهيب بن سنان .. » .. فلما حضر .. أمره بأن يصلى بالناس اماما ..

ولم يكتف عمر بذلك .. بل تذكر بعض الروايات التاريخية أنه طلب منه أن يدنو منه .

وقال له « صلى بالناس ثلاثة أيام وأدخل عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف وطلحة واحضر عبد الله بن عمر وقم على رؤوسهم فان اجتمع خمسة ورضوا رجلا منهم وأبى واحد فاشرخ رأسه . وان اتفق أربعة وفرضوا رجلا منهم وأبى اثنان فاضرب رأسهما . وان رضى ثلاثة رجال منهم واحدا فحكم عبد الله بن عمر فأى الفريقين حكم له . فان لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكن مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتل الباقين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس .. » .

ونفذ الصاحب صهيب وصية عمر .. حتى تم اختيار عثمان ابن عفان .. فأعلن امارته للمؤمنين .. وتنحى له عن الصلاة بالمسلمين ..

وعاش مع عثمان .. كما عاش من بعد مع على رضى الله عنهم أجمعين ..

نموذجا وحده فى الاسلام ..

خير صاحب ..

وخير تابع لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. الى أن قبضه الله فى عهد على ومات بالحجاز تاركا وراءه ذكرا خالدا .

ورضى الله عن أبى يحيى .. صهيب بن سنان .. امام الأيام الثلاثة ..

صاحب رسول الله
عبد الله بن مسعود

لم يحب واحد من المسلمين الأول القرآن الكريم كما أحبه عبد الله بن مسعود فاقترح بكل كيانه وتحول كل شيء فيه صورة قرآنية عذبة حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم « من أحب ان يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد » .

وكان عبد الله بن مسعود أول رجل يجهر بالقرآن الكريم فى مكة بعد رسول الله فيقول الزبير « كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله بمكة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه اذ اجتمع يوما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله ماسمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ـ فمن رجل يسمعوه ؟ فقال عبد الله ابن مسعود . أنا فقالوا . انا نخشاهم عليك . انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم ان أرادوه . قال : دعونى فان الله سيمنعنى فغدا ابن مسعود حتى المقام فى الضحى وقريش فى أنديتها فقام عند المقام ثم قرأ باسم الله الرحمن الرحيم رافعا بها صوته . الرحمن . علم القرآن ثم استقبلهم يقرؤها فتأملوه قائلين ماذا يقول ابن أم عبد ؟ .. انه يتلو بعض ما جاء به محمد . فقاموا اليه وجعلوا يضربون وجهه وهو ماض فى قراءته حتى بلغ منها ما شاء الله ان يبلغ .

ثم عاد الى أصحابه مصابا فى وجهه وجسده فقالوا له . هذا الذى خشيناه عليك . فقال . ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن ولئن شئتم لاعادينهم بمثلها غدا .. قالوا له : حسبك فقد أسمعتهم ما يكرهون » .

وقصـة اسلام عبد الله بن مسعود وحياته صورة رائعـة للمسلمين الأول الذين آصدقوا حب الله ورسوله ورفعوا لواء الحق فصاروا علما ومنارا عبر الأيام .. وعلى مر التاريخ ..

وقد جاء ابن مسعود الى مكة من هزيل بعد وفاة أبيه يبحث عن العمل والرزق حتى انتهى به الأمر راعيا لغنم عقبة بن ابى معيط برغم معارضة أخوانه بنى زهرة الذين رأوا فيه شـيئا مجهولا فظنوا انه سيكون له مع الأيام شأن كما يقول بعض الرواة .. فيسروا له سبل الحياة .. واغدقوا عليه النعم ولكنه يرفض هذا كله .. لأنه يحب أن يعيش من كده وعمله .. ولأنه لا يحب الكسل ولا يحب البذخ ولا من يعيش هـذه الحياة كما يعبر عن ذلك فيما بعد من عمره .

ويعيش راعى الغنم مع الطبيعة باحثا عن الحق والحقيقة .. وكأنه الله سبحانه وتعالى قد اختار له هذه المهنة .. لأن فيما قدره ومستقبله .. ومصيره .. اذ يقول عبد الله بن مسعود أنه كان ذات يوم يرعى غنما فاذا برجلين يقابلانه ويتأملانه فى صمت .. وينظر اليهما فى رهبة وانبهار .. واذا بأحد الرجلين يسأله « ياغلام هل عندك من لبن تسقينا فانا ظمآء . فقـال : انى مؤتمن ولن أسقيكما ولو كانت هذه الغنيمات لى لما بخلت عليكما بما ينقع الغلة ويبل الصـدى فينظر أحد الرجلين الى صاحبه ثم يعـود فيقول : فهل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل . قال . اما هذا فنعم وأتى بشاة فيعقلها الرجل ذو النظر المطمئن ثم يسمح على

ضرعها ويدعو بكلام فاذا الضرع قد حفل . واذا بصاحبه يأتيه بصخرة مقعرة فاحتلب فيها فشربا ثم شربت ثم قال للضرع اقلص فقلص ..

وعرف ابن مسعود فى الرجلين محمد بن عبد الله وأبا بكر صاحبه وينصرف رسول الله وصاحبه ليبقى عبد الله فى ذهول اذ حلاوة اللبن الذى ذاقه تتضاءل امام حلاوة الكلام الذى سمعه وحينما يفيق من ذهوله يبحث عن النبى وابى بكر فلا يجدهما فيضيق بنفسه .. اذ كيف تركهما ينصرفان من غـير أن يعرف وجهتيهما ولا كيف يلقاهما .. فيعود الى مكة مسرعا ويسلم اغنامه ويبحث عن عقبة بن أبى معيط حتى يراه بين أبنائه وكثير من أقاربه فيعلنه فى اصرار ووضوح « يا ابن الوليد أغد مع غنيماتك غيرى من رفيقك واحلافك فانى عن رعيها راغب منذ اليوم » .. ويتركه وينصرف باحثا عن النبى صلى الله عليه وسلم حتى يجده بعد يومين طويلين .. فيتعلق به .. ويسأله ان يعلمه من الكلام الذى سمعه منه .. فيخبره عليه السلام بدعوته فيدخل فيهـا ويسلم .. ويقول له الرسول من اللحظة الأولى «انك غلام معلم» ويصبح سادس المسلمين ..

ومن يومها وعبد الله لا يفارق النبى حتى ظن كل من رآه انه واحد من أهله بيت النبوة .. ولا يقف دوره عند حد مصاحبة النبى وتعلم الدين منه .. بل انه ليعلن كلمات الله وآياته فى مجامع القوم فتارة يلحقونه .. وتارة أخرى يذهب بعيدا عنهم مسرعا قبل

أن يلقى من ايذائهم شيئا .. كان ابن مسعود يقرأ القرآن بصوته العذب فيجذب اليه كثيرا من العامة .. وبعض الخاصة من سكان قريش .. فيلقى فى قلوبهم المظلمة .. بصيصا من نور الحق .. واستمر على هذا حتى ضاق به أبو جهل زعيم الكفار وأراد أن يلحق به الأذى وينهى به حيـــاة واحد من الدعاة الى دين الله . وبتلاوة القرآن .. ولكن القوم حالوا بينه وبين رغبته خشية بطش أقارب عبد الله بن مسعود الذين لن يرضوا باذلال ولا قتل ابن لهم .. ولكن أبا جهل لم يقنع وبدأ يتحين الفرص ليكيد لابن مسعود .. وجاءته الفرصة .. اذ رأى على بعد من الكعبة جمعا من الناس فذهب يتعرف الأمر واذا الجمع من حول ابن مسعود يستمعون اليه يتلو قوله تعالى « وعبادى الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا . سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنـــا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما . انها ساءت مستقرا ومقـــاما . والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لا يدعون مع الله الها آخرا ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمـــل صالحا فانه يتوب الى الله متـــابا .. والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغـــو مروا كراما » . فيصرخ أبو جهل فى القوم فيهربون ويبقى هو وجها لوجه مع عبد الله بن

مسعود فيضربه بالقوس على رأسه فينبثق منه الدم غزيرا . ولكن عبد الله لا يهرب .. ولا يضعف .. وانما يصفع أبو جهل على وجهه فى عنف وقوة .. ثم يقذفه فى صدره .. حتى يصيح « لن تفلت بها يا راعى الغنم .. » فيقول له ابن مسعود « ولن تفلت بما فعلت يا عدو الله » .. ويذهب أبو جهل الى قومه يحدثهم بما أصابه .. ويهدر دم ابن مسعود ويعرف رسول الله بالأمر فيأمر عبد الله بالهجرة الى الحبشة مع المهاجرين ويعود من هناك الى المدينة .. حيث يعيش مع النبى لا يفارقه .. ويأخذ عنه .. ويتعلم منه حتى ليقول رضى الله عنه « والله ما نزل القرآن شىء الا أنا أعلم فى أى شىء نزل وما أحد أعلم بكتاب الله منى ولو أعلم أحدا تمتطى اليه الابل أعلم منى بكتاب الله لأتيته .. وما أنا بخيركم » .

و .. « أخذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة لا ينازعنى فيها أحد » .

ويحضر المواقع كلها مع رسول الله .. وفى غزوة بدر كان أبو جهل فى جانب المشركين وكانت فرصة تصفية الحساب بينه وبين ابن مسعود .. وأذن الله وصرع أبو جهل .. وعلى يد عبدالله ابن مسعود ونفر من المسلمين .. وقبل أن يلفظ أبو جهل أنفاسه قال له ابن مسعود « ها قد أخزاك الله يا عدو الله » .

فقال « ها أنت ذا يا راعى الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعبا » .

فيرد عليه ابن مسعود « لقد أخزاك الله بما قدمت للمسلمين

من شر فذق عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة أشد بأسا وأعظم تنكيلا » .

ويضربه الضربة الأخيرة .. ويرفع صوته بتكبيرة الله . .

وينتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عن ابن مسعود .. وكلمات كثيرة مضيئة قالها عليه السلام عن هذا الصحابى العظيم .. ومنها :

« تمسكوا بعهد ابن أم عبد » .

و .. « من أحب أن يسمع القرآن غضا كما أنزل فليسمعه من ابن أم عبد » .

و .. « لو كنت مؤمرا أحدا دون شورى المسلمين لأمرت ابن أم عبد » .

و .. يقف ابن مسعود مع المؤمنين الأول يذودون عن دين الله فى حروب الردة .. وحروب الدعوة .. من بعدها .. ثم يغمد سيفه طوال أيام أبى بكر وحتى العهد الأول من أيام عمر وظل مع المرابطين فى حمص ينتظر تعليمات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى الزحف والجهاد ـــ ولكن أمرا يأتيه بالعودة الى المدينة من الخليفة الثانى ليوليه بيت مال الكوفة وتعليم أهلها شئون دينهم فى وقت كانت الدعوة الاسلامية فى حاجة الى تثبيت قلوب أهل الكوفة بالذات على الاسلام حتى ينطلقوا فى مغارب الأرض ومشارقها دعاة اليه .. وقال عمر فى خطابه لأهل الكوفة عن تعيين

ابن مسعود على بيت المال ومعلما لهم : « انى والله الذى لا اله الا هو قد آثرتكم به على نفسى فخذوا منه وتعلموا .. »

وقام عبد الله بن مسعود فى الكوفة مدة خلافة عمر وفترة من أيام عثمان .. يعلم الناس شئون دينهم .. ويعلم الحكام كيفية التصرف فى مال المسلمين .. والحفاظ عليه .. وكان يعلم قراءة القرآن ويقرؤه طوال أيام الأسبوع .. وعشية واحدة كان يتخذها للموعظة .. هى عشية الخميس .. حتى حفظ عنه المسلمين الكثير .. وحفظ لنا التاريخ بعضها ومنها ..

« انى لأمقت الرجل اذ أراه فارغا ليس فى شىء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة » .

و .. « خير الغنى غنى النفس .. وخير الزاد التقوى وشر العمى عمى القلب . وأعظم الخطايا الكذب . وشر المكاسب الربا . وشر المآكل مال اليتيم ومن يعف عف الله عنه ومن يغفر غفر الله له » .

و .. يعلمهم سيرة الصحب الأول لرسول الله .. وتعاليم رسول الله فى خشوع رهيب يهتز له كل جسده .. وتنساب دموعه ذكرى لنبى الرحمة صلى الله عليه وسلم .

وفى أول عهد عثمان .. ولى على الكوفة الوليد بن عقبة مع بقاء ابن مسعود على بيت المال وتعاليم الناس شئون دينهم . .

وبدأ يبين الاثنين خلاف على أسلوب الحكم .. وطبيعــة مالى المسلمين وكيفية انفاقه .

كان عبد الله بن مسعود يرى أنه ليس للأمراء ولا لمظاهرهم التى يحاول الأمويين ابرازها فى المجتمع الاسلامى .. وانما لعامة المسلمين ومصالح الجماعة الاسلامية وبدأ ابن مسعود يعبر عن هذا الرأى الاسلامى فى حديثــه عشية كل خميس مع جماهير المسلمين وكان يرفع دائما مقدمة دائمة لأحاديثــه « ان أصدق القول القول كتاب الله . وأحسن الهدى هدى محمد . وشر الأمور محدثاتها . وكل محدثة بدعة . وكل بدعة ضـــلالة وكل ضلالة فى النار » .

وينتهى الخلاف بعودة بن مسعود الى المدينة المنورة . تنقم يوما بينه وبين عثمان مشادة عنيفة تنتهى برد بن مسعود عليــه « لست كما تقول ولكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ويوم أحد ويوم الخندق ويوم بيعة الرضوان » .. فتنادى عائشة أم المؤمنين من وراء الستر فى المســجد قائلة « ويحك يا عثمان أتقول هذا لصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

ويخرج بن مسعود من مسجد رسول الله غاضبا ليقضى فى بيته عامين لا يبرحه يعانى من آلام وأمراض .. حتى ينتقل الى عالم الخلود حيث يلقى الأحبة محمدا وصحبه مشيعا من المسلمين فى مدينة الرسول وفى مقدمتهم صحابة صلى الله عليه وسلم الذين اشتركوا فى الصلاة عليه .

عثمان بن مظعون

رابع عشر المسلمين

و .. كان عثمان بن مظعون واحدا من الذين التقوا حول النبى يستمعون اليه وهو يلقى أول خطبة معلنا نبوته .. داعيا الى الاسلام ..

و .. وانصرف مع من انصرف من الناس وصوت النبى يتردد فى أعماقه ..

فقد كانت لكلماته صلوات الله عليه أكبر الأثر فى نفسه ولكن شيئا ما أخره عن اعلان اسلامه .. لم يعرف له كنها .. ولكنه أرق ضميره طوال عمره بعد ذلك .. اذ لم يكن أول من مد يده الى النبى مبايعا .. ومسلما .. الأمر الذى أضفى على سلوكه ايمان المتصوفة ، وزهد الصالحين بقية حياته ..

وشاهد عثمان معارضة قريش والزعماء للنبى ودعوته .. وشاهد أيضا بدء مراحل الاضطهاد والتعذيب لكل من يعلن اسلامه لمحمد .. ولكل من يسير وراء محمد عليه الصلاة والسلام.

وأحس بقلبه يثور عليه ..

وأحس بضيق يكتم أنفاسه ..

واستمر على ذلك أياما حتى أحس ذات ليلة أنه يكاد أن

يختنق مالم يجد حلا يخرجه من حيرته فيحدد لنفسه موقفا من الدين الجديد ..

وجاء الصباح ..

وفى وضح النهار .. كان يسير فى شوارع مكة بوقاره وعظمة رجولته حتى يصل الى دار النبى فيبايعه ويعلن اسلامه ويومها .. أصبح عدد المسلمين أربعة عشر شخصا لا أكثر ..

وبدأ عثمان حياة جديدة .. كان يعتبر وبحق أن اسلامه يسدل ستارا كثيفا على حياته السابقة ..

ويشوق الايمان ..

وبتأنيب الضمير لأنه لم يكن أول من آمن بالنبى .. بدأ عثمان بن مظعون حياة فريدة مع المسلمين .. فكان يشاركهم كل حياتهم .. وكل متاعبهم .. وأعلن اسلامه ، وجهر به ، ودعا اليه أهله .. وسارت من خلفه زوجته وابنه .. الأمر الذى أثار عليه قومه حتى نسوا أنه واحد من الشعراء .. وأن بعض أشعاره تتناقلها الركبان . ولم يخشوا هجاءه لهم . . والعرب يومذاك كانت تجرى أعظم قبائلها وراء بيت شعر مادح .. وتدفع أثقالا لتمنع بيت شعر هجاء فيها .. نسوا ذلك كله وبدأوا معه أنواعا شتى من العذاب ..

ضربوه ..

وسجنوه ..

وربطوا على قلبه الأحجار وتركوه فوق الصخور أياما وليالى .. وليزداد ألما وكلوا بهذا العذاب .. والتعذيب أهله .. وأقربهم اليه مودة فى حياته السابقة ابن عمه أمية بن خلف .. ومع ذلك فلم يهتز ايمان عثمان ولم يستسلم لكل ما قدموه اليه من اغراء حتى يترك دينه ويسب نبيه .. بل صمد .. وقاوم .. وصبر .. وراح يجهر باسلامه ..

وخشى عليه النبى من كثرة ما يلقـــاه .. فأمره بالهجرة الى الحبشة مع القلة المؤمنة الأولى .. وأن يصحب معه ابنه السائب وأن يكون هو أميرا على هذه المجموعة التى أحبها الله ورسوله ..

وأطاع عثمان أمر النبى .. بعد ما كان يتمنى البقاء الى جانبه فما كان له أن يختـــار أمرا غير الذى يريده الرسول صلوات الله عليه .

وبقى فى الحبشة مع المهاجرين يتدارسون دينهم .. ويتلقون فى شوق أخبار نبيهم .. وتأتيهم الرسل معهـــا كل جديد . من القرآن الكريم يحفظونه ويعبدون الله .. ويتشوقون للحظة العودة حيث الرسول .. وحيث الدعوة ..

ووصلت فى ذات الوقت الى قريش أخبار هذا الوفد الاسلامى المهاجر .. المشرقة .. فكادت أن تجن .. وحاولت استعادتهم .. ففشلت .. فحاولت الوقيعة بينهم ففشلت .. فلجأت أخيرا الى المكر والخداع .. فأرسلت من يخبرهم أن قريشا قد آمنت بالله

.. واتبعت النبي .. وأن مكة كلها أصبحت على يد رجل واحد تؤمن بالاسلام .

وخرج المهاجرون ..

وسارعوا بالعودة الى مكة ..

وعلى مشارفها اكتشفوا الخديعة ..

وكان أهل قريش وأتباعها يعلمون ما يدبر لهذه الفئة المؤمنة .. ولكن واحدا منهم كانت تربطه بعثمان أواصر مودة عميقة .. وجذبه اليه بطولة صموده ازاء ما يلقاه .. سعى ليقابله فى الطريق قبل وصوله مكة .. ولم يحدثه بنوايا قريش .. وانما ألح عليه فى أن يدخل فى جواره .. وما زال به حتى قبل .. ذلكم هو الوليد ابن المغيرة وبذلك دخل عثمان مكة آمنا ..

وتمر الأيام .. ويرى عثمان أن رفاقه فى الدعوة ، واخوانه فى الدين يلاقون من أنواع العذاب والتعذيب مالم تشهده مكة من قبل .. ويرى أيضا أنه يسير فى طرقات مكة آمنا ويؤدى مناسك دينه سالما ولم يكن كذلك قبل هجرته الى الحبشة رغم ما كان له من مكانة وعزة .

وتمردت عليه نفسه الأبية ..

وثارت فيه كل مكامن الرجولة والعظمة .

واذا به كما يقول واحد من الصحابة الأول :

لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء وهو يغدو ويروح فى أمان من الوليد بن المغيرة قال : والله ان غدوى ورواحى آمنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابى وأهل دينى يلقون من البلاء والأذى مالا يصيبنى لنقص كبير فى نفسى .

فمشى الى الوليد بن المغيرة فقال له : يا أبا عبد شمس وفت ذمتك وقد رددت اليك جوارك . فقال له لم يا ابن أخى لعله آذاك أحد من قومى . قال لا . ولكنى أرضى بجوار الله ولا أستجير بغيره .

قال : فانطلق الى المسجد فأردد على جوارى علانية كما أجرتك علانية ..

فانطلقا حتى أتيا المسجد فقال الوليد : هذا عثمان قد جاء يرد على جوارى . قال : عثمان . صدق . ولقد وجدته وفيا كريم الجوار . ولكننى أحببت ألا أستجير بغير الله .

ثم انصرف عثمان ولبيد بن ربيعة فى مجلس من مجالس قريش ينشدهم فجلس معهم عثمان فقال لبيد : ألا كل شىء ماخلا الله باطل . فقال عثمان صدقت . قال لبيد : وكل نعيم لا محالة زائل . قال عثمان كذبت .. نعيم الجنة لا يزول .

فقال لبيد يا معشر قريش والله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم . فقال رجل من القوم . ان هذا سفيه فارق ديننا

.. فلا تجدن فى نفسك من قوله . فرد عليه عثمان بن مظعون حتى شزى أمرهما فقام اليه ذلك الرجل فلطم عينه فأصابها والوليد بن المغيرة قريب يرى ما يحدث لعثمان . فقال أما والله يا ابن أخى ان كانت عينك عما أصابها لغنية . لقد كنت فى ذمة منيعة فقال عثمان : بل والله ان عينى الصحيحة لفقيرة الى مثل ما أصاب أختها فى الله . وانى لفى جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس . فقال له الوليد : هلم يا ابن أخى ان شئت فعد الى جوارى . قال ابن مظعون : لا ..

ويترك عثمان المجلس ويعود الى داره راضيا بما قدر الله .. سعيدا بمشاركة اخوانه فى الدين مصيرهم ومنشدا أشعارا يتناقلها العرب فى كل مكان :

فان تك عينى فى رضا الله نالها	يدا ملحد فى الدين ليس بمهتدى
فقد عوض الرحمن منها ثوابه	ومن يرضه الرحمن ياقوم يسعد
فانى وان قلتم غوى مضـــلل	لأحيا على دين الرسول محمد
اريد بذلك احمد والحق ديننا	على رغم من يبغى علينا ويعتدى

ورغم عينه الجريحة .. فلم يتركه أهله .. ولم تتركه قريش .. بل مارسوا معه كل أنواع التعذيب لعله يترك دينه أو يسب سيدنا رسول الله ولكنهم جميعا لم ينالوا منه شيئا .. واستمر يعاندهم بقوة ايمانه وصلابة عزيمته الى أن أذن الله للمسلمين بالهجرة الى المدينة .. ووصلها عثمان بن مظعون .. ليشهد المسلمون بالمدينة فيه نموذجا فريدا فى العبادة والدعوة ..

فقد كان رضى الله يرفض كل متع الحياة .. وكان يقبل على الله بقلب تهتز لايمانه الدنيا وكان يعمل .. ويتعلم .. ولايغيب عنه رسول الله لحظة .. حتى ظنه بعض العرب من أسرة النبى لكثرة ما رأوه من محبته صلى الله عليه وسلم له .. وتفقده اياه .. وكثرة السؤال عليه ..

واشترك مع النبى فى بعض الغزوات .. فكان الفدائى البطل الذى يبحث عن الاستشهاد ..

ولكن .. لم يطل به الأجل .

فقد هد جسده ما لقى من عذاب فوق طاقة البشر .. ولم تنفع مقاومته للآلام وآثار التعذيب .. فسقط ذات يوم صريع هـذا كله .. وفى ومضة كان المسلم الرابع عشر فى تاريخ المسلمين المشرق الحافل يلفظ أنفاسه الأخيرة .. راضيا مطمئنا .. وليكون أول المهاجرين وفاة بالمدينة المنورة .. وينحنى النبى العظيم ليقبله وهو يبكى بكاء تهتز له القلوب من حوله وحتى يبتل وجه عثمان بدموع النبى ويودعه بكلمات جليلة . (رحمك الله أبا السائب . خرجت من الدنيا وما أصبت منها ولا أصابت منك ..)

ثم يأمر النبى بعد أن صلى عليه فيكون عثمان بن مظعون أول من يدفن بالبقيع ..

فهرس

صفحة



ثقافة وعلوم إنسانية لكل الشعب